الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت–
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

الرحلات الاستكشافية ودورها في التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري خلال القرن 19م

من إعداد الطالـــبتين:
– عايدي خالدية
– عبيـــد بـــختة

إشـــراف الأستـــاذة:
– حبـــاش فـــاطمة

أعضاء لجنة المناقشة

د.....رئيسا
د.....مشرفا
د.....مناقشا

السنة الجامعية: 2014م/ 2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

"من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

نتوجه بالشكر والعرفان إلى الأساتذة المشرفة: حباش فاطمة التي لم تبخل علينا بنصائحها القيمة وملاحظتها الدائمة للموضوع ومراجعتها للمذكرة عدة مرات دون كلل، رغم اهتماماتها.

فنشكرها مجددا ونتمنى لها التوفيق في حياتها العلمية والعملية.

و نشكر كل أساتذة قسم التاريخ وعمال مكتبة الجامعة وعمال مكتبة السوقر (تيارت)، فرندة، وهران.

و نتقدم إلى كل من علمنا حرفا واحدا من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الجامعية دون أن نستثني أحدا، إلى جميع أساتذتنا بأسمى عبارات الشكر والاعتراف بالفضل.

و لا يفوتنا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى السادة أعضاء اللجنة الذين وافقوا رغم انشغالاتهم الكثيرة على مناقشة هذه الرسالة.

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى الشمعة المضيئة التي أنارت دربي بشعاعها، ونورها الذي لا ينطفئ إلى من فرحت لفرحتي، وتألمت لأحزاني إلى من سهرت عليا الليالي، أمي الغالية أطال الله في عمرها.

إلى النور الذي في قلبي والسراج المنير في دربي الذي منحني القوة لمواجهة الصعاب، وحرص على تعليمي منذ صغري إلى من علمني أن العلم سلاح مستقبل، أبي العزيز أطال الله في عمره.

إلى أخوي محمد الأمين وفاطمة الزهراء وإلى كل من تربطني به صلة الرحم.

ألى من قاسمني عناء البحث بختة.

إلى صديقاتي شهيناز، فتيحة، حورية، لمياء، خيرة، تركية، هدى وإلى جميع زملائي من بعيد أو قريب.

إلى كل طلبة المتخرجين من قسم التاريخ دفعة 2015.

عابدي خالدية

إهداء

إلى جنتي الغالية التي أعرف حجم اجتهادي كلما رأيت حجم تعبها إلى أمي ثم أمي ثم أمي إلى سندي و أماني الأبدي إلى والدي.

إلى من قاسموني ظلمة الرحم و ملح الحياة، إخوتي فاطمة خالدية خالد أحمد يوسف حنان إلى عمي أحمد و إلى كل عائلة إلى سي طيب و إلى أزواج أخواتي عبد القادر ، مصطفى.

الى من قاسمتني وساندتني عناء البحث والتعب طيلة خمس سنوات مضت "خالدية".

إلى اعز صديقة عابد خيرة رفيقة الدرب اتمنى لها التوفيق و النجاح الى كل من هدى – تركية – شهيناز –عبو هدى– وردة –حورية – أسيا إلى جميع من كانوا سندا لي.

إلى زملائي في مجال الدراسة و الذين ساندوني سواء من قريب أو بعيد.

إلى كل طلبة المتخرجين من قسم التاريخ دفعة 2015.

عبيد بختة

قائمة المختصرات:

(د.ت)	دون تاريخ
ط	الطبعة
تر	ترجمة
ج	جزء
(د.م.ط)	دون مكان طبعة
ق	قرن
ع	عدد
تق	تقديم
ص	صفحة

[SD]	SANS DATE
COLL	COLLECTION
OPCIT	OUVERAGE PRECEDEMMENT CITEE
IMP	IMPRIMERIE
[S.L.I]	SANS LIEU D' IMPRESSION
IBID	AU MEME ENDROIT
CHROM-TRIM	CHRONIQUE TRIMESTRIELLE

مُقَدِّمَةٌ

إن المنطق الاستعماري لا تتغير نتائجه وإن اختلفت مقدماته لا يتغير جوهره، إن تغيرت أشكاله وصوره من منطلق ورؤية واحد لا يحيد قيد أنملة – ولو حاول ذلك عن مبدأ مادي إستغلالي الـــذي لا يقيم لحرية الأفراد أو قيمهم وزنا، إنه منطلق دفع شعوبا لتحتل شعوبا وتستأثر بثروتها المادية والفكريـــة والروحية. هذا ما حدث تماما في أرض الجزائر، الأرض التي وجدت فيها فرنسا ما تصبوا إليه من ثروات متعددة منذ دخلتها حتى خرجتها بحسرة وهي تعرف يقينا حجم خسارتها بخسارة الجزائر.

لقد استغلت فرنسا وعمرت القسم الشمالي من الجزائر لكنها لم تغض الطرف عن قسمه الجنـــوبي، وإذ كان وصولها إلى هذا القسم متأخرا نظرا لجغرافية المنطقة ونظرا لتثبيت وجودهـــا في الـــشمال، لكـــن ضرورة التوسع وإستراتيجية فرنسا ومشروعها الكبير في الجزائر كان يفترض البحث، لـــذلك بـــدأت بإرسال البعثات الاستكشافية في الصحراء الجزائرية بداية القرن 19، وقد أخذت تلك البعثات أشـــكالا مختلفة لكنها تجتمع كلها حول هدف واحد، وهو التعرف على صحراء الجزائر، صحراء التي أصـــبحت حلم فرنسا والتي فاوضت لأجلها حتى أخر لحظتها في الجزائر.

إن موضوع الرحلات الاستكشافية في الصحراء الجزائرية ودورها في التوسع الفرنـــسي موضـــوع متشعب ومتداخل لكننا قررنا دعم ذلك طرحه للدراسة لأسباب عدة:

أولها لأهميته التاريخية كونه موضوعا حساسا فهي فترة من أثرى فترات الجزائر التي تعكـــس هويـــة الجزائر ووجودها الحضاري (الصحراء)، وثانيا هو ما يمكن كشفه عن وســـائل الاســـتعمار الفرنـــسي وخلفياته الاستعمارية التوسعية في الصحراء الجزائرية إضافة إلى الأبعاد الاجتماعية والثقافية والحـــضارية التي يكتسبها هذا الموضوع، حيث وجدنا أن معظم الأبحاث التي تناولـــت الموضـــوع استكـــشاف في

الصحراء ركزنا على ذكر الرحلات وترتيبها دون اهتمام بالغ بدوافع خفية واستغلال أهل مناطق الصحراوية في مشروع فرنسي.

أما عن إشكالية بحثنا فتنبع من فرضية اتخذناها أرضية لموضوعنا وهي الرحلات الاستكشافية في الصحراء الجزائرية نشاط توسعي استعماري وإن اختلفت أشكاله وصوره.

ومن هذه الفرضية صغنا إشكاليتنا الرئيسية التي تتعلق بالرحلات الاستكشافية كصورة استعمارية ساهمت في توسع نشاط فرنسا لتتعرف على قيمة الصحراء استراتيجيا وإذا كان الأمر كذلك فان حجم هذا المشروع التوسعي يتطلب جهودا على مستويات عدة ويصطدم بصعوبات جمة من هذا نصوغ الإشكالية الآتية: **ما مدى مساهمة البعثات الجغرافية في النشاط الاستعماري بالصحراء؟**

لتتفرع عنها عدة أسئلة تمثل صلب موضوعنا منها: ما موقع الرحلات الاستكشافية في مشروع فرنسا الاستعماري؟ ما هي الوسائل المختلفة التي استعملت في الرحلات الاستكشافية؟ ما مدى استغلال المستكشفين لأهل المناطق الصحراوية في عملية البحث والاستكشاف؟ ما هي صعوبات التي واجهت المستكشفين؟ إلى أي مدى نجحت فرنسا في التوصل إلى إستراتيجية في السيطرة على الصحراء الجزائر وفق نتائج الرحلات الاستكشافية؟

وللإجابة عن الأسئلة السابقة اتبعنا مناهج علمية في مقدمتها المنهج التاريخي الذي يقتضي التحري والترتيب بالاعتماد على الوثائق والمعلومات التاريخية و لم نكتف بذلك إذ اعتمدنا التحليل والوصف لان البحث يتطلب تحليلا للأحداث التاريخية كما اعتمدنا على الاستقراء في استنتاج الأبعاد والخلفيات والنتائج.

أما من ناحية التطبيق الإجرائي لموضوعنا فقد واجهتنا صعوبات جلها يتعلق بقلة المصادر والمراجـــع التي تتقاطع مع موضوعنا (على أقل المصادر باللغة العربية) خاصة وأن معظم الوثائق الهامـــة متـــوفرة في الأرشيف الفرنسي وما تحمله المكتبات الجزائرية زهيد مقارنة بحجم الموضوع كما أن امتـــداد الفتـــرة التاريخية والامتداد المكاني صعب علينا الإحاطة بكل رحلات الاستكشافية. كما أن الموضوع يتطلـــب وعيا أكاديميا لا ندعي أننا نتوفر عليه وإنما إدعينا أننا حاولنا.

اعتمدنا في إنجاز هذا البحث على مادة علمية استقيناها من مصادر ومراجع متنوعة أهمها: مـــصادر فرنسية منـــها كتـــاب لـــروني كـــاييي « René Caillé » بعنـــوان Journal D'une Voyage A Tomobocto Et A Jeuné Dans L'Afrique Central وأفادنا في الفصل الأول باعتبـــاره أول بعثـــة فرنسية نشطت بعد البعثات البريطانية سنة 1824-1828، وكتاب هنري بـــارث « Henri Barth » « voyage et découvertes dans l'Afrique, septentrionales et contrôle pendant les années 1849-1855 ». حيث أفادنا في النشاطات الاقتصادية في الفصل الثاني .و فيما يتعلق بـــالمراجع التي قمنا باعتمادها، فقد كان أهمها جوزفين كام "مستكشفون في إفريقيا " الذي اعتمدنا عليه كثيرا في عنصر البعثات الاستطلاعية الأولى وكذا مختلف البعثات , وإبراهيم مياسي،كتابيه "التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1882-1912" و"الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائريـــة مـــن 1837-1934" استخدمناه في مفهوم البعثات الاستكشافية قبل الاحتلال الفرنسي وبعده وفيما تـــضمنه مـــن نتـــائج اقتصادية حول مشروع السكك الحديدية وغيرها، أما يحي بوعزيز، "مع تاريخ الجزائر في ملتقيات وطنية ودولية "و "موضوعات وقضايا في تاريخ الجزائر والعرب" احتوى على الاهتمامات الفرنسية للجنـــوب

الصحراوي الجزائري، إضافة إلى عميراوي أحميدة في كتابه ، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائريـــة 1844-1916، أخذنا منه أهم المسالك والأسواق التجارية في الفصل الثالث.

أما المراجع باللغة الفرنسية نذكر منها:

Bénnarde Augustin SN. LA CROIX, la pénétration Saharienne 1830-1906. و Henri Lhote, le Hoggar espace et temps. فكان مفيدين لنا في المشاريع الدينية والاقتصادية والعلمية وفيما يخص المجلات فنجد مجلة العصور الجديدة التي وجدنا فيها مقال لعبد القادر بوبايـــة حـــول دور الرحالة والمستشرفين في الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية التي أورد لنا فيها نماذج عـــن البعثـــات الاستكشافية للصحراء وبعض الأهداف والدوافع الخاصة بالموضوع.

كما نجد في مجلة المصادر مقال لأحمد مريوش التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهقار، تضمن حوصلة عن بداية الاهتمام الفرنسي للصحراء الجزائرية إضافة إلى ما نـــشره زاوي مصطفى في مجلة العلوم الإنسانية حول ما نشره زاوي مصطفى تحت عنوان "المستكشفون الأوروبيـــون للصحراء الجزائرية، تطرق فيه إلى البعثات البريطانية والفرنسية التي تعد من أهم البعثات الاســـتطلاعية الأولى.

أستعنا كذلك بالدراسات الأكاديمية التي قد أفادتنا كثيرا ومن أبرزها:

- مذكرة لنيل شهادة الماجستير لإبراهيم الحاج أحمد "المؤسسة التنصيرية في الصحراء الجزائريةفي نهاية القرن 19"، التي افدتنا في الجانب التنصيري.

رسالة الماجستير لحباش فاطمة، "سي علي بن بوبكر القائد العسكري لثورة سيدي الشيخ (1890-1896)" التي ساعدتنا في تعريف لبعض المناطق والشخصيات المتعلقة بالموضوع.

أما خطة البحث فقد شملت مدخلا خصصناه لخصائص جغرافية للمنطقة إضافة إلى لمحة تاريخية عـــن صحراء الجزائر تمهيدا للموضوع وركزنا في مدخل على منطقة الصحراء وقيمتها الإستراتيجية، ثم ضـــم البحث بعدها ثلاثة فصول أولها المعنون بـــ: إهتمامات فرنسا بالصحراء، والمبحث الثاني يتعلق بالبعثات الاستطلاعية الأولى من طرف بريطانيا من حيث تأسيس أول جمعية جغرافية 1788 إلى غايـــة 1824 حيث أرسل الفرنسيون أول بعثة للصحراء الجزائرية.

أما الفصل الثاني: فقد خصصناه لنشاط الرحالة المستكشفين بالصحراء وعرضنا ذلك في ثلاثة مباحث: الأول منها حول النشاطات التجارية والاقتصادية التي كانت غرضا لتلك الرحلات، والثاني فتطرقنا فيه للنشاط الديني الذي رافقته عمليات استكشافية، حول نشاط التنصيري الذي يهدف إلى نشر المـــسيحية في الصحراء كما أشرنا في المبحث الثالث إلى أهم العراقيل التي واجهت تلك البعثات وكرد فعل التوارق عليها .

وعن الفصل الثالث فخصصناه لنتائج سياسة التوسع الفرنسي في الصحراء حيث رصدنا أهـــم النتـــائج العسكرية والاقتصادية والاجتماعية التي ولدتها تلك السياسة التوسعية.

وفي الأخير ختمنا البحث بخاتمة شملت أهم النتائج التي هي عبارة عن استنتاجات لأهم مميـــزات هذه الفترة من الاستكشافات واهم ما توصلت إليه البعثات وأهم النقاط السلبية التي كانت سببا للقضاء عليها.

مـــــدخـــــل

لمحة تاريخية وجغرافية عن جنوب الصحراء

تعتبر الصحراء* الجزائرية جزءا من الصحراء الإفريقية الكبرى فالإقليم الصحراوي الجزائري يمتد من مرتفعات أطلس الصحراء شمالا حتى قلب الصحراء الإفريقية جنوبا وبين تونس وليبيا شرقا والنيجر ومغنية تادميت. أما غربا فنجد كل من المغرب الأقصى والصحراء الغربية وموريتانيا ومالي غربا وجنوبا.

وقد تعاقب على الصحراء الجزائرية أمم عديدة منذ العصور الحجرية إلى الفتح الإسلامي منهم، الأمازيغ السكان الأصليون والفنيقيون، وإن كانوا لم يتوغلوا إلا قليلا تم الرومان والبيزنطيون، وإن كانوا قد شيدوا قلاعا وحصونا في تخوم الصحراء وقد كان للعرب الذين وفدوا من شبه الجزيرة العربية خلال الفتح الإسلامي وبعده الأثر الكبير في تعمير إفريقيا عامة والمناطق الصحراوية خاصة، وقد استطاع العرب أن ينصهروا مع السكان الأصليون مكونين بذلك أمة واحدة يرجع الفضل في تماسكها وتآخيها إلى الدين الإسلامي[1].

من القضايا الهامة التي تطورت بشكل ملموس وواضح خلال القرن 19 التي كانت بمثابة جسر يربط الأجزاء المختلفة شمالا وجنوبا وشرقا وغربا لهذا اهتم بها الأوربيون منذ أن خرجوا من قارتهم في العصر الحديث بغية الكشوفات الجغرافية ومن ثم التوسع فيما وراء البحار، وكانت من المحاور

* – **ماهية الصحراء:** إنها أرض غير مزروعة "هكذا يقول عنها النبي أرميل 42" وتصفها الشاعرة مكان الفقر، المتروك ، الغامض. ويفكر البيولوجي" أنها منطقة شحيحة السكان والحيوان والنبات"، أما بالنسبة للجغرافي فهي منطقة تسودها المناظر الطبيعية وأثر نشاط الانسان فيها قليل جدا، ينظر: مصطفى أعشي، نماذج من التواصل الحضاري بين شمال افريقيا والصحراء الكبرى خلال عصور ما قبل التاريخ، معهد الدراسات الافريقية، جامعة محمد الخامس، الرباط.

[1] –إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837م، 1934م، دار الهومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص395.

الأساسية للإستراتيجية الفرنسية من جميع النواحي السياسية العسكرية، الاقتصادية، وذلك لتحقيق حلمها القديم في تكوين إمبراطورية مترامية الأطراف، من البحر الأحمر شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا والتي تبعد عن الوطن الأم".

الصحراء الجزائرية لدى الرحالة:

الجزائر واحدة من ثلاثة بلدان في حوض البحر الأبيض المتوسط التي تشترك في هذا البحر الهائل من الرمال المعروفة بالصحراء الكبرى، مع أن الوصول إليها لم يعد صعبا، فما يزال للصحراء الكبرى سحرها وغموضها الخاص[1]، وقد وصف الرحالة الفرنسيون الصحراء الجزائرية أوصافا فهذا روني بوتي Réné Potier يقول بأن الصحراء كما يطلق عليها إداريا إقليم الجنوب لفظ يطلق على منطقة شاسعة جدا وهي جغرافيا المنطقة المتصحرة التي تحزم الكرة الأرضية، ولها حدودها الطبيعية من الأطلنطي في الغرب، دعامة الأطلس والبحر الأبيض المتوسط في الشمال، البحر الأحمر في الشرق.

فالصحراء* ليست تلك المنطقة المتصحرة التي تستحيل فيها الحياة إلا على البدو الرحل وهي ليست بلاد مجدية ولكنها بلاد جافة، بحيث أنه يكفي أن تمطر غيمة على المنطقة انعدمت بها النباتات لتزهر الأرض وتكتسي حلة بهية من الأزهار والورود في خلال أيام معدودات وبرغم الرمال

[1] – محمد الهادي لعروق، الأطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1998، ص15.

* – **الصحراء** هي منطقة شاسعة جدا خالية من السكان، ينظر:

Marichel Duc Daumas, le Sahara Algerienne, Paris,1845, P;01.

وزوابعها فإن الصحراء يقول بوتي Potier ليست هي تلك الصورة التي في أذهان الأوربيون التي توارثوها من خلال بعض الجغرافيين القدامى على أن الصحراء رقعة ممتدة من رمال وبعض النخيل[1].

أما فيما يخص الرحالة ألفرد باردون Baradon Alfred فيقول "الصحراء بحصر المعنى هي ذلك الإقليم الشاسع الممتد من الجزائر وليبيا إلى السودان ومن الأطلنطي إلى مصر، ربع إفريقيا ونعني بالصحراء الجزائرية تلك القطعة الممتدة من توات وسهول تادميت وتقرت من الجنوب، وفي خلف تقف جبال الأهقار على علو ثلاثة آلاف متر بقممها المتوجة بالثلوج، موطن الطوارق، ونجد في الصحراء كل شيء من سهول شاسعة رتيبة كتلك التي تمتد من بسكرة إلى ورقلة، هضاب مفصولة بوديان كشبكة الميزاب وكثبان رملية موحشة متعذر عبورها[2].

2.مميزات الوسط الطبيعي الصحرواي:

1.2.الموقع: يمتد الاقليم الصحراوي من المرتفعات الأطلس الصحراء شمالا وحتى قلب الصحراء الافريقية الكبرى جنوبا، وتشغل الصحراء الجزائرية الجزء الأكبر من مساحة الوطن فهي تشكل 3/4 المساحة الكلية للجزائر أي 2 مليون كلم^2 ويبلغ سكانها ثلثي مليون نسمة، وقد مرت خلال تكوينها بعدة تطورات باختلاف العصور والأزمنة الجيولوجية وتختلف هذه التكوينات التي تغطي سطح الصحراء من مكان لآخر والتي يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع متمايزة[3].

---

[1] -Pottier Réné, Le sahara,B.Art hand, France,1950, P29.

[2]- Bardon Alfred, Algérie et Tunisie Récit de voyage et études,Paris, 1893, P 190.

[3] -حسان جاد الرب، جغرافية العالم العربي، مكتبة ومطبعة الغرب، القاهرة، 2006، ص 252.

أ-الحمادة: وهي عبارة عن سهل من الحجارة والحصى ممتدة في شكل صفائح طبقية وهي أكثر المناطق في الصحراء جفافا ومن أهم الحمادات في الجنوب الغربي من الحدود الجزائرية الذراع وحمادة تزورفت في الجنوب وحمادة تادميت في الوسط شمال عين صالح.

ب-العرق: هي مساحات رملية، تتخللها أودية أو شطوط جافة حارة في الصيف وشديدة البرودة في الشتاء وهي مناطق غنية بالمياه الجوفية التي تكون أحيانا عميقة جدا، وأحيانا تقترب من سطح الأرض فتكون واحات أهمها : العرق الغربي الكبير والذي يمتد من بني عباس غربا حتى هضبة المنيعة شرقا، والعرق الشرقي الكبير الذي يمتد من وراء الحدود الجزائرية التونسية[1].

ج-الرق: هي سهل صخري أو حوض منخفض ملأته السهول الجارفة بالرواسب الصخرية، وهي عبارة عن مناطق واسعة مستوية السطح تغطيها الرمال الخشنة والحصى[2]، ومساحة الصحراء الكبرى، تغطي ثمانية ملايين كلم^2 يشترك فيها كل من الجنوب، المغرب والجزائر تونس وليبيا وشمال مصر وغرب موريتانيا ومالي والنيجر وتشاد وجنوب السودان.

أما مساحة الصحراء الجزائرية تبلغ 1.987.600 كلم^2 وبذلك تحتل مساحة واسعة تجاوزت نسبتها 90% من مساحة القطر الجزائري، إذ أن الجانب الطبيعي للصحراء الجزائرية يتميز ببنية تضاريسية بسيطة ومتنوعة في أشكالها المورفولوجية [3].

بالإضافة إلى تضاريس المتمثلة في **الصحراء المنخفضة** التي تتمركز في الجزء الشمالي الشرقي وتتميز بمنخفض يقل بـ31 متر عن مستوى سطح البحر بينما الأراضي المجاورة لا يزيد سطحها عن

[1] – بسام العسيلي، الله أكبر وإنطلقت الثورة، دار النفائس، الجزائر، 2010، ص 65.

[2] –جودت حسين جودت، دراسات في الجغرافيا الطبيعية للصحاري العربية، بيروت، 1980، ص72.

[3] – Flatters, les deux mission du colon et Flatters en Afrique, récit historique et critique par un membre de la première mission d'après des notes de voyage… le route colonel et le interrogation subis par les suivants de la deuxième mission,[s d], paris, 1884, p292.

ارتفاع 200 متر ولهذه الأراضي أهمية اقتصادية متمثلة في انتشار الواحات منها، واحات الزيبان شمالا وواحات وادي سوف وريغ جنوبا، كما أنها تزخر بكميات معتبرة من المياه الجوفية[1]. **والسهول الرملية** التي تحتل مساحات واسعة من الصحراء تتمثل في العرق الشرقي والعرق الغربي الكبير إلى جانب عروق ثانوية كعرق الشاش وغيرها كما تتمثل في تضاريس الرق وإلى جانب **الهضاب الصحراوية** التي في معظمها ذات تكوينات صخرية منها هضبة **الحمادة** والتي تمتد في الجزء الشمالي من الصحراء إلى الجنوب من سلسة أطلسية هضبة تادميت* الفسيحة والممتدة في وسط الصحراء بين دائرتي عرض 27° إلى 30 °شمالا وترتفع إلى علو يناهز 600 متر وقد غطتها على امتداد مئات الكيلومترات من شمال إلى الجنوب. طبقة من اللون الأحمر القديم يعلوها غطاء صحراوي حيث أثرت فيه إلى حد كبير الرياح، وإذا كانت تدفقات السيول شاركت في تكوينه[2].

ولا ننسى **المرتفعات القديمة** التي تتمركز في الوسط والجنوب الشرقي، وتمثلها منطقة الطاسيلي والهقار، **فالأولى** كانت عبارة عن صخور من صلصال الرمل شاهقة ومتقطعة أصبحت تعد من أهم سجلات التراث الإنساني في العالم، بعد العثور بها على أقدم الرسومات المعبرة عن الحياة ومناخ المنطقة في القدم[3]. أما **الثانية** فهي مرتفعات واسعة المساحة حوالي 5000كلم^2 معظمها من

[1] – جيلالي صاري، دور البيئة في الجزائر، ط1،د ن، الجزائر، 1983، ص 18.

* – أعلى قمة جبلية في الجزائر والتي تبلغ 2918 م.

[2] – عبد القادر حلمي، جغرافية الجزائر (طبيعية، اقتصادية ، بشرية)، ط1، الجزائر، 1968، ص ص 56-57.

[3] – جلالي صاري، المرجع نفسه، ص 20.

الصخور القديمة البركانية التي تعرضت إلى عملية الحت. ورغم ذلك لا تزال بها قمم عالية تقارب 3000 م كقمة تاهات.

وتأتي **الأودية الصحراوية** لتصب أحيانا في الشطوط وتختفي أحيانا في وسط الرمال ليس لها جوانب مضبوطة ولا حدود معينة فهي عديمة الانتظام وفجائية الفيضان، وتنقسم حسب مناطق منابعها إلى أودية السفوح الجنوبية لجبال الأطلس الصحراوي كأودية الهقار[1]، منها وادي جدي* ووادي الساورة*.

لقد كان للوضع الجغرافي انعكاس مباشر على مناخ الصحراء، حيث يسودها مناخ قاري في الصيف حيث ترتفع درجة الحرارة إلى 50°، وقد تصل بمدينة أدرار أو عين صالح إلى 45°، كما تنخفض في الشتاء إلى درجة الصفر، وبهذا يكون المدى الحراري السنوي كبيرا جدا بالإضافة إلى ذلك تتعرض الصحراء إلى هبوب رياح جافة وفي بعض الأحيان متميزة بعواصف هوجاء من الرمال تعرقل جميع أنواع النشاط البشري[2].

وتتميز بندرة الأمطار وعدم الانتظام حيث يزيد متوسطها السنوي عن 200 ملم وترتفع على الهوامش الشمالية وقمم المرتفعات ما بين 50- 200 ملم وتتراجع إلى ما دون 50 ملم في باقي المناطق، وتعود ظاهرة الجفاف في الصحراء إلى كونها تقع في المنطقة المدارية التي تهب عليها الرياح

[1] – عبد السلام بوشارب، العقار أبجاد وأنحاد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، رويبة، 1995، ص38-39.

* – يأخذ منابعه من نهر آفلو بجبال العمورة.

* – يعرف بطريق النخيل ، ينظر : بسام العسيلي، مرجع سابق، ص77.

[2] – إسماعيل العربي ، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص210.

القادمة من خط الاستواء، وبالتالي فهي منطقة ضغط مرتفع ومصدر للرياح التجارية التي تهب في الصحراء نحو المناطق الاستوائية، وهي رياح جافة ولا تسبب نزول الأمطار لأنها تحرك على السطح اليابس[1].

وأما بالنسبة **للتساقط** فهو على مرتين في الصحراء، **فالأول** يبدأ من شهر نوفمبر إلى غاية شهر جانفي عندما تهب الرياح الشمالية الغربية الممطرة على الهوامش الشمالية، **والثاني** من شهر ماي إلى شهر سبتمبر، كما تهب الرياح الموسمية على الهوامش الجنوبية. ومن هنا نقول أن ظاهرة الجفاف هي السائدة في الصحراء بفعل الارتفاع الكبير لدرجات الحرارة مقارنة مع النقص في نسبة تساقط الأمطار[2].

أما فيما يخص **موارد المياه** فتتوفر على كميات معتبرة لاسيما الجزء الأكبر في باطنها وأكثر أهمية في الاحتياطات المائية الكامنة في الأحواض الثنائية والثلاثية الشاسعة الممتدة بين الكتل الجنوبية الممتدة بين حوض الترسي للصحراء المنخفضة[3]، وقد وظف الاستعمار الفرنسي وسيلة الماء لكسب الصفوف الجزائرية، حيث تم استخراج الماء بعمق 60م بحيث قال "الفرنسيون أنه باكتشاف الماء تكون البداية قوية لإقامة الإدارة فرنسية بالصحراء"[4].

---

[1] – عميراوي احميدة، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، 1844-1916، دار الهدى، الجزائر،2009، ص12.
– أنظر ملحق الخرائط، الملحق رقم 01.

[2] –عبد السلام بوشارب، الهقار أمجاد وأنجاد، مرجع سابق، ص 39.

[3] – عبد القادر حلمي، المرجع السابق، ص88.

[4] - Brune Verbet, le sahara presse universitaire de France, paris, P74.

وبالخصوص **الغطاء النباتي** فإنه يقتصر على بعض النباتات المتأقلمة مع طبيعة المنطقة الصحراوية، معظمها مجردة من الأوراق فروعها قصيرة بها أشواك للتغلب على الجفاف والتبخر، وجذورها طويلة بحثا عن المياه الباطنية، وأهم هذه التشكيلات، الدرين والشيح، وبدون أن ننسى النخيل والحلفاء التي تنتشر في هذا الاقليم، كما توجد مناطق خالية من الحياة النباتية مثل: منطقة تانزوفرت[1].

أما بالنسبة الحيوانات المنتشرة بالصحراء فتتكون من غزلان وذئاب الرمال ومجموعة من الجرذان والأفاعي والزواحف المتنوعة والطيور والجمال التي يعد من أهم الحيوانات ويلقب بسفينة الصحراء[2].

أما عن **الجانب الاجتماعية** فالصحراء تتميز عموما بضآلة السكان رغم المساحة الشاسعة، وبذلك فهم ينتظمون داخل بيئة اجتماعية ذات طابع بدوي، نظرا للظروف المتحكمة في حياتهم خاصة ندرة المياه لأن وجود المياه يسمح بممارسة العيش ومن ثم الاستقرار، وأما نقصانه فيعني البداوة والترحال، ويصعب إحصاء سكان الصحراء بسبب شساعة المنطقة بالإضافة إلى عامل الترحال، وعدم الاستقرار لدى القبائل، وعلى العموم ينقسم السكان إلى نوعين:

أ-الحضر: وهم الذين يسكنون الواحات والقصور (مسيلة، بوسعادة، الجلفة، غرداية، تمنراست، جانت، ورقلة، وادي سوق، بسكرة، وادي ريغ، تقرت) [3].

[1] – محمد الهادي لعروق ، المرجع السابق، ص18.

[2] – اسماعيل العربي ، المرجع السابق، ص210.

[3] – عبد القادر حليمي ، المرجع السابق، ص219.

ب–البدو والرحل: يجمعون بين الاستقرار الظرفي والتنقل بين الشمال والجنوب بحثا عن الكلأ لمواشيهم، باعتمادهم على الفلاحة وتربية المواشي[1]، ومنه ينقسم إلى عدة قبائل منها:

الطوارق: الذين يلقبون بالملثمين حيث يعتبر اللثام الذي يضعونه على وجوههم رمزا لهم منذ أقدم العصور وهم ينحدرون من أصل أمازيغي يتكلمون اللهجة الأمازيغية القديمة تدعى تاماهاك، وللطوارق مميزات وخصائص أصلية تميزها عن باقي القبائل الصحراوية وتنقسم إلى ثلاث فروع أساسية منها (طوارق الطاسلي ناجار–الأهجار–الأدرار نيفوغاس)[2].

ويتوزعون في المناطق الممتدة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي وهناك نسبة منهم تتمركز في مناطق أخرى، وتعد الأهجار مركز قبائل الطوارق، وكل قبيلة تنقسم إلى أوْخاد وعشائر وبطون يعيشون مثل جميع قبائل الرحل على تربية المواشي والرعي، وهناك جزء بسيط منهم يعيش على الزراعة[3]،

الشعانبة: ينحدرون من قبيلة سليم العدنانية العربية أتوا إلى شمال إفريقيا أوائل القرن الرابع عشر مع آخر الغزو الهلالي، واستقروا في منطقة متليلي بالقرب من غرداية عاصمة وادي ميزاب، وبعد توغل الاستعمار الفرنسي في الصحراء، اضطر بالشعانبة إلى الهجرة نحو الجنوب مما أدى إلى تشتت قبائلهم ليستقر بهم الوضع في النصف الشمالي الغربي من الصحراء الكبرى، وقد كانوا

[1] – إسماعيل العربي ، المرجع السابق، ص210.

[2] – عبد القادر حلمي ، المرجع السابق، ص219.

[3] – إسماعيل العربي ، المرجع نفسه، ص12.

يسيطرون على تجارة القوافل التي تجري بين شواطئ الجزائر وتمبوكتو والنيجر، لكنهم تحولوا عن هذه التجارة بعد أن سيطرت فرنسا على المنطقة وفرضت الحكم العسكري إلى فتح محلات ومتاجر[1].

ومن بين القبائل التي استقرت بالجنوب الغربي قبيلة **أولاد سيدي الشيخ** الـــذين يقيمـــون في المنطقة الواقعة بين فقيق والكلومب ببشار إلى غاية غرب الأغواط، ويعود أصل هذه الأســـرة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه التي هاجرت إلى مصر ثم انتقلت إلى تونس مع مطلع القرن 15 رحلت من تونس باتجاه الغرب الجزائري. وكان لها دور كبير في المقاومة الشعبية منذ الاحتلال الفرنسي خـــلال القرن 19 م، إذ هم منقسمون بين الجزائر والمغرب، ومن أجدادهم المعروفين الشيخ عبد القادر بـــن محمد المعروف ببوسماحة المتوفي في سنة 102 3ه، 1614م، وقبل وفاته أسس زاوية في البيض وأصبحت معروفة باسم سيدي الشيخ. وقد ترك ثمانية عشر ولدا (18) واتسعت دائرتهم من البيض حتى شملت الجنوب الوهراني[2].

أما نسبهم الروحي فيعود للقادرية والشاذلية، حيث كان سيدي الشيخ أحد تلاميذ الـــشيخ أحمد بن يوسف لكن الذي أدخله إلى الطريقة هو محمد عبد الرحمن السهيلي القادري الشاذلي[3].

[1] – محمد عبد الحليم البيشي ، تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية، دار زمورة، الجزائر، 2013، ص ص 31- 37.

[2] – إبراهيم مياسي ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص ص 143- 144.

[3] – أبو قاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية، 1830- 1900، ج1، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائـــر، 2009، ص: 179-180.

بالإضافة إلى أولاد نايل الذين هم من ذوي الأصول العربية أقاموا بين بـــسكرة والجلفـــة ثم الميزابيون ينحدر أغلبهم من قبيلة بني مصعب البربرية فرع الزناتة يستقرون (غرداية العطف بنـــوررة، بني يزغن، مليكة، والقورارة) وهم من أتباع المذهب الإباضي[1].

[1] – محمد عبد الحليم البيشي ، المرجع السابق، ص38.

الفصل الأول:

الاهتمامات الفرنسية بالصحراء الجزائرية

المبحث الأول: دوافع البعثات الاستكشافية

المبحث الثاني: البعثات الاستطلاعية الأولى

المبحث الأول: دوافع البعثات الاستكشافية

تعددت الأسباب والدوافع في الصحراء الكبرى عموما والصحراء الجزائرية خاصة التي رافقتها سلسلة من الاهتمامات الأوروبية والفرنسية.

1.بداية الاهتمام: تعتبر الصحراء الإفريقية الكبرى، لما تحتله من موقع استراتيجي هام، فهي بمثابة جسر عالمي يربط الأجزاء المختلفة شمالا وجنوبا، شرقا وغربا[1]، لهذا اهتم بها الأوربيون فقد بدأوا بالاهتمام بها عندما شرعوا في الكشوف الجغرافية البحرية خلال القرن الخامس عشر وما بعده، وقد قام البرتغاليون بالدوران حول القارة الإفريقية للوصول إلى بلاد الهند بحثا عن البهارات، وغيرها من سلع الشرق الأقصى، وفي أواخر القرن 18 م ومطلع القرن 19م اشتد التنافس الاستعماري بين الفرنسيين والانجليز والألمان حول القارة الإفريقية وكان من أسباب هذا التنافس:

أولا: إيجاد مجالات للصناعة والتجارة الأوربيين فيما يخص الأسواق والمواد الخام.

ثانيا: إيجاد مجال لإسكان فائض السكان على أماد بعيدة.

ثالثا: القيام بدراسات علمية متنوعة طبيعة وبشرية واقتصادية.

وكان الانجليز أول من أبدى اهتماما بإفريقيا والصحراء، بعد أن تقلص نفوذهم في أمريكا الشمالية وفقدوا مستعمراتهم هناك، فأسسوا عام 1788م جمعية دواخل إفريقيا Association For

[1] – أحمد مريوش ، التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهقار، 1916، مجلة المصادر، العدد 11، الجزائر، 2005، ص114.

The Promothing of The Discovry of The Interion Of Africa كلفوها بتجنيد المغـــامرين وتوجيههم إلى إفريقيا لاستكشافها وغزوها[1].

فجندت عددا لا بأس به منهم وكلفتهم بالقيام برحلة إلى أعماق الصحراء، فقام جون لديار John Ledyard بعبور الصحراء من الشرق إلى الغرب عبر وادي النيل إلى أعالي النيجر، وعـــاد إلى مصر، وتوفي من جراء التعب والإرهاق، وتبعه لوكاس locas، نائب القنصل البريطـــاني الـــسابق في طنجة، فقام بمحاولة استكشافها انطلاقا من مدينة طرابلس الغرب[2].

ومن الرحالين من كانت تدفعه روح المغامرة نحو ارتياد المجهول واكتشاف الغريب والخـــروج عن المألوف، ومنهم من كان يحركه البحث عن مصادر الثروة والمال ويدفعـــه الـــسعي إلى تحـــصيل المكاسب المادية من وراء المتاجرة أو للحصول على جائزة معينة، ومنهم من كانت تغريـــه النزعـــة السياسية الاستعمارية فيسعى إلى ارتياد مناطق جديدة خدمة لتجارة بلد أو السعي لجمع معلومـــات مختلفة عن المناطق المزُورَةُ تمهيدا للسيطرة عليها واخضاعها تطبيقا لمقولة مشهورة "يجب معرفة النـــاس للسيطرة عليهم وقيادتهم"[3].

[1] - Ch. De La Ronciere; Découverte d'une Relation de Voyage date du Toite et Décrivant en 1447 . Le Basin de Niger; Paris. 1918, P 22.

[2] – إبراهيم مياسي ، المرجع السابق، ص: 62-63.

[3]- Roné caillé, journal d'une voyage a Tombouctou et a jeuné dans l'Afrique centrale, Edition la Découverte, paris, 2t, 1989, p-p 291 et 373.

ولأن حركة الكشوفات تعد أولى مراحل التوسع الاستعماري فقد اشتد حماس الفرنسيين لهذه الكشوفات بعد نجاحها باحتلال الجزائر واعتبارها أرضا فرنسية بموجب المرسوم الملكي الصادر في 1834/04/22م.

وهكذا بسّط الاستعمار الفرنسي نفوذه على المناطق الساحلية أولا ثم التوسع نحو المناطق التلية، فيما ظلت منطقة الصحراء مجهولة لديه وصعبة المنال لفترة من الزمن.

فكانت انطلاقة الاكتشافات الفرنسية في صحراء الجزائر مع رحلة روني كايي* René Caillé لتزداد هذه البعثات أكثر فأكثر خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وعلى الرغم من تعرض حملاتهم وبعثاتهم العسكرية إلى الهجومات* من طرف سكان الصحراء إلا أن الإدارة الفرنسية استمرت في إرسال المستكشفين إلى مختلف أصقاع الصحراء لتحصل على معلومات دقيقة لاستكمال توسعها وسيطرتها عليها ووضع حاميات عسكرية تؤمن لها المنطقة وتتصدى لمقاومة السكان[1].تتكون من 60 ضابط و46 جندي و36 رجال إفريقيا، وكان هدفها كشف الصحراء[2].

* ينظر الخريطة رقم 02.

* – أشهر هاته الهجومات هي حادثة مقتل العقيد فلاتيرز القائد الأعلى للمشاة بالأغواط ورجال بعثته التسعة على يد التوارق بقيادة زعيمهم "أمنوكال" بمنطقة الهوقار في 16 فيفري 1881، ينظر إبراهيم مياسي ، المرجع السابق، ص ص: 48 – 65.

[1] – يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص ص: 64-66.

[2] – جوزفين كام، المستكشفون في إفريقيا، ترجمة وتقديم وتعليق، السيد يوسف نصر محمد علي وقاد، دار المعارف،القاهرة، 1983، ص203.

ونظرا لما قدمته هاته البعثات من دراسات توبوغرافية ومناخية واجتماعية للمنـــاطق الـــتي تم الوصول إليها، فإن عملية التوسع نحو الجنوب عرفت تطورا كبيرا خاصة بعد التعرف على مـــسالك الصحراء وطرقها التجارية وعلى جميع خصائصها وسكانها معا، وهكذا جاءت المرحلة الثانية للتوسع الفرنسي من خلال فتح المعابر ومد السكك الحديدية، وإنشاء مراكز عسكرية تـــؤمن تواجـــدهم في مختلف مناطق الصحراء[1]. الأمر الذي أعطى دفعا قويا للمشاريع الاستعمارية فيها والتي بدأتها فرنسا بفتح الطرق لتجارتها بهدف التغلغل إلى قلب القارة الإفريقية[2]. إضـــافة إلى الاســـتثمار في مختلـــف الزراعات الصحراوية التي تفتقر إليها فرنسا ودول أوروبا[3].

جاء احتلال فرنسا للصحراء كنتيجة حتمية لما قدمته هذه البعثات من المعلومات الهامة حول كل ما يتعلق بالجنوب الجزائري، فالخيرات التي تزخر بها هاته المنطقة بجميع أنواعها الباطنية والسطحية وموقعها الإستراتيجي الذي يمثل حلقة وصل بين الشمال وبين باقي المستعمرات الفرنـــسية، جعـــل الاستعمار الفرنسي يبني إستراتيجية مستقبيلة تصبح الصحراء فيها الركيزة الأساسية ليستكمل تحقيق حلمه وهو تكوين امبراطورية استعمارية تبدأ من شمال إفريقيا وتمر بالصحراء الجزائريـــة لتـــصل إلى غرب القارة الإفريقية (السنغال).

وفي الحقيقة فإن هذه الأسباب لم تكن وحدها التي دفعت بفرنسا لاحتلال الصحراء فقد كان وراء هذا التوسع باتجاه الجنوب عددا من الدوافع التي يمكن أن نلخصها فيما يلي:

[1] – أحمد مريوش ، المرجع السابق، ص118.

[2] – يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص65.

[3] – أحمد مريوش ، المرجع نفسه، ص119.

2-**الدوافع السياسية والعسكرية:** إن السبب الرئيسي للتقدم الفرنسي في الصحراء إنما يرجع إلى تعزيز الوجود الاستعماري بالمنطقة وكذلك لإبعاد خطر المنافسة البريطانية التي كانت تسعى للتوغل داخل الصحراء بهدف تكوين امبراطوريتها الاستعمارية في القارة الافريقية، لذلك لجأت السلطات الفرنسية إلى إبرام اتفاق (فرنسي انجليزي) في أوت 1890م يقضي بجعل كل أراضي الجنوب الجزائري خاضعة للنفوذ الفرنسي[1].

كما أدركت فرنسا أن احتلالها للجنوب يضمن لها احتلال كامل للبلاد، وذلك أن الثورات الشعبية التي كانت تندلع في الجزائر من فترة لأخرى أصبحت تجد في الجنوب وواحاته معقلا يفر إليه مجاهدوها ليحتموا فيه ويستعيدوا الكرة للهجوم على القوات[2]، ولذلك عزم الفرنسيون على التوسع إلى أعماق الصحراء خاصة بعد ثورة سكان واحة الزعاطشة [*]لمنطقة بسكرة عام 1849م، وحركة الشريف محمد بن عبد الله بالأغواط[**] وورقلة وتوقرت، للاحتلال مرة أخرى بعد أن يرتاحوا ويتزودوا بالمؤونة والسلاح ويتلقوا المساعدات من البلدان المجاورة خاصة المغرب الأقصى وتونس وليبيا.

---

[1] – تواتي بومهلة ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، 1837- 1934، ط1، دار المعرفة، الجزائر، 2012، ص21.

[2] – يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص: 63 -66.

[*] – قتل في هاته المعركة زعيمه وابنه المسمى الشاوش والذي كان عمره ما بين 16 و18 حسب بعض المصادر وقد قتل لكي لا يكون خليفة لوالده أو يثأر له. ينظر: إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، 1837، 1934 المرجع السابق، ص77.

[**] – مدينة تقع جنوب الجزائر العاصمة عن بعد 400 كلم وهي تمتد عبر الضفة الوادي دامزي أو الجدي تشتهر هذه المدينة بواحاتها الكبيرة وحدائقها الجميلة المنتشرة شمالا وجنوبا، ومن أشهر قبائلها المعامرة الحجاج أولاد صالح وقبيلة الحرازلة....ينظر: إبراهيم مياسي ، المرجع السابق، ص 85-86.

من خلال زيارة الرحالة الألماني جير هارد رولفس Jihard Rolfes ومدى مشاركة ودعم أهالي الجنوب بالشمال عندما زار إقليم التوات* سنة 1864 حيث قال بهذا الخصوص "قبل كل شيء على الفرنسيين أن ينقلوا حدودهم إلى نهاية وادي الساورة*" وهناك بالضبط تبدأ كل المصاعب والفوضى ما دام الفرنسيون لم يستولوا على هذه الحدود الطبيعية، ولن يكون هناك أي هدوء دائم في جنوب مقاطعة وهران[1].

ومن بين الدوافع التي جعلت فرنسا تسيطر على الصحراء هي إخمادها للثورات الشعبية التي أخذت في المقاومة للاستعمار والتي كان أولها ثورة الزعاطشة 1849 بزعامة الشيخ بوزيان، وعلى الرغم من تمكن الاستعمار من القضاء على هذه المقاومة بتدمير واحة الزعاطشة وقتل زعيم الثورة رفقة ولده والحاج موسى الدرقاوي بطريقة شنيعة لإرعاب السكان وإنذارهم، إلا أن الثورات استمرت[2] في عديد من المناطق الصحراوية منها: انتفاضة محمد عبد الله الشريف* في ورقلة سنة

* -إقليم التوات: يحيط بهذا الإقليم، العرق الغربي الكبير من جهة الشمال وجزء من الشمال الشرقي وهضبة تادميت من الشرق والجنوب ومن الغرب يحيط به الحوض الشرقي لواد الساورة ويتكون هذا الاقليم من ثلاث مقاطعات وهي تيدليكت تيفوراين توات، ينظر: إبراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص402.

*- وادي الساورة، هو مجرى مائي بإقليم بشار.

1 - إبراهيم مياسي ، المرجع السابق، ص76-77.

2 - عبد القادر حليمي ، المرجع السابق، ص71.

* -أصله من أولاد سيدي الشيخ، كان خليفة فرنسا على تلمسان وندا للأمير عبد القادر، وبعد ذهابه إلى الحج وعودته أصبح من أعداء فرنسا وثارا ضدها، وجعل من ورقلة مركزا لعملياته، ينظر:

- Louis Rinn, Marabotes et Khouan Etude Sur L'islame en Algerie Avec Une Carte Indiquant La Marche, La Situation et L'importance des Ordre Religieux Musulment, A dolphe Jordan, Alger, 1884, P20.

1851م والذي تمكنت قوات الاحتلال من القبض عليه بعد 10 سنوات 1861 ونفيه إلى فرنسا ولكنه عاد وشارك في عدة ثورات أخرى[1].

وهكذا اتسعت دائرة المقاومة الشعبية في الصحراء إلا أن الإدارة الاستعمارية استطاعت تطويقها، والقضاء عليها في جميع أقاليم الصحراء، وذلك بجمعها معلومات حول خبايا الصحراء وتضاريسها* إضافة إلى استمالة بعض الجزائريين الذين تواطئوا معها في القضاء على المقاومة[2].

وتمهيدا للبرنامج التوسعي الاستعماري ولتعزيزه من خلال محاولة حصار تونس عسكريا واقتصاديا من ناحية الجنوب الشرقي، وذلك بقطع التبادلات التجارية والعلاقات الاجتماعية بين منطقتي جريد التونسي* ووادي سوف بهدف تمهيد لفرض الحماية على تونس، ومن جهة ثانية حصارها للمغرب الأقصى من ناحية الجنوب الغربي الجزائري في الوقت الذي سيطرت فيه فرنسا على موريطانيا لتشرع بعدها لتحقيق الحلم الذي طالما راودها وهو السيطرة التامة على منطقة شمال افريقيا[3].

---

[1] – موسوعة أعلام الجزائر 1830-1954، منشوات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ص 76.

* ينظر الخريطة رقم 01.

[2] – أحمد مريوش ، المرجع السابق، ص ص: 121- 132.

* – هو أحد أقاليم تونس يوجد في شكل سهل مستطيل بين سفحة تاكمرت وشط الفرسة ، وهو عبارة عن واحات الجميلة كانت تسمى قديما بلد القسطيطلية. وتشمل كل من نقطة –تازورة، قفصة، نفزاوة،ينظر: صالح باجيا، الإباضية بالجريد في العصور الاسلامية الأولى، دار بوسلامة، تونس، 1976، ص ص 6 -7.

[3] – التواتي بومهلة ، المرجع السابق، ص21.

ومن الدوافع الفرنسية الأخرى لاحتلال الصحراء سعيها لتفكيك المجتمع الجزائري وتقسيمه عن طريق فصل الصحراء عن الشمال. وتكوين دولة مستقلة فيها تضم كل سكان الصحراء ليتم بعد ذلك تفريغ الصحراء من سكانها وذلك بتجميعهم في ناحية معينة حتى تسهل عملية السيطرة عليهم والقضاء على أي مقاومة تظهر في المنطقة بشكل تام، وبعد ذلك يتم العمل على عزل الجنوب عن الشمال تمهيدا لمشروع الفصل.

يضاف لذلك اتخاذ الصحراء الجزائرية كقاعدة سياسية وعسكرية تمارس منها فرنسا ضغوطها على جميع الثورات المندلعة ضدها وجعلها كقاعدة عسكرية تحمي ظهرها وظهر أوروبا في حالة أي اعتداء أجنبي.

لقد لخصت بعثة فلاموند Flamaund المرسلة إلى تيديكلت* سنة 1899م في تقريرها الخاص مجمل الدوافع التي جعلت فرنسا تسعى للسيطرة على الصحراء الجزائرية وفي هذا قال فلاموند:" من المهم ومن دون تأخر ربط واحة عين صالح بالجزائر العاصمة إما عن طريق عين الصفراء أو عن طريق ورقلة، وبعدها اتمام الطريق الصحراوي ووصولا إلى تمبوكتو* وهي الوسيلة العملية الوحيدة للاستعمار، وأيضا لكي لا تكون هذه المنطقة ملجأ دائما لإثارة القلاقل"[1].

* – تيدليكت: تقع هذه المنطقة في أقصى الجنوب الجزائري بين خطي 25° – 30° شمالا وخطي طول 1° غربا و6° شرقا تحدها هضبة تادميت من الشمال ومنطقة الهقار من الجنوب وتيديكليت كلمة أمازيغية تعني "كف اليد" وهي أحد مقاطعات الثلاث المكونة بإقليم توات ينظر إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، مرجع سابق، ص453.

* –– تمبوكتو: تأسست هذه المدينة على يد الطوراق من قبيلة مقشرن أواخر القرن الخامس الهجري، وتقع المدينة على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى على منحنى نهر النيجر، وتعود تسمية المدينة إلى امرأة من الطوارق تدعى بكتو ويحتوي المكان على بئر (تين) لذا جاء اسمها (تين بكتو) وللمزيد راجع كتاب: مبارك بن الصافي جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ.

[1] – التواتي بومهلة،المرجع السابق، ص 21-22.

3-الدوافع الاقتصادية:

لقد تعددت العوامل الاقتصادية التي حثت فرنسا على الاستحواذ على الصحراء الجزائرية ومن بين أولى هذه الدوافع نذكر منها:

- استغلال فرنسا للطرق التجارية الصحراوية للسيطرة على خيرات افريقيا من جهة، واستغلال الصحراء كسوق استهلاكية لمنتجات أوربا من جهة أخرى فباحتلال الجنوب الجزائري ستتمكن السلطات الفرنسية، من فتح مجالات واسعة وايجاد طرق جديدة للتجارة، وهذا ما ورد في قول المارشال Soult وزير الحربية. "....إن الصحراء في هذه الفترة يمكن اعتبارها أهم مركز للبحث عن الأسواق التجارية الرابطة بين الصحراء والشمال الافريقي من جهة والصحراء الجزائرية وإفريقيا السوادء من جهة ثانية...." [1].

وقد ساهمت البعثات الاستكشافية في عملية الكشف عن الثروات المعدنية الضخمة التي تزخر بها الصحراء خاصة وأن هذه الكميات الهائلة من المعادن المتنوعة تحتاجها فرنسا لخدمة اقتصادها وازدهارها[2].

ولتحقيق هذه الأهداف عملت فرنسا على إنجاز شبكة مواصلات السكك الحديدية والبريد وأسلاك الهاتف وذلك بمد سكك حديد تربط بين الجزائر والمدن الصحراوية مرورا بورقلة وعين صالح

[1] - التواتي بومهلة، المرجع السابق، ص23.

[2] - إبراهيم مياسي ، مرجع سابق، ص 82-83.

وغيرها، ثم الانتقال إلى إنجاز طرق حديدية أخرى تكون عابرة للصحراء لربط المستعمرات الفرنسية ببعضها البعض[1].

الاستحواذ على الثروات الطبيعية لتحقيق استثمار صناعي إلى أبعد الحدود بها خاصة مع إدراك فرنسا أنها متخلفة صناعيا بالمقارنة مع منافساتها بريطانيا في تلك الفترة، ولكي تستطيع فرنسا استغلال هذه الثروات قامت بتأسيس الكثير من الجمعيات والشركات الاحتكارية والبنوك التجارية ذلك ليتسنى لها فتح آفاق مستقبلية واسعة تساهم في بناء تجارتها وازدهارها وربطها بإفريقيا داخلية[2].

وفي هذا الصدد يقول الاقتصادي الفرنسي بول ليروا بوليو P.Leroy Beaulieux الذي كان يحلم أن تصبح الصحراء الجزائرية مثل فرنسا أو مشابهة لشمال الجزائر، إذ يقول " يتراءى لنا أن الصحراء الجزائرية على جانب كبير من الثروة المعدنية والمدخرات المنجمية المتنوعة"[3].

[1] – تواتي بومهلة، المرجع السابق، ص23.

[2] – تواتي بومهلة، المرجع نفسه، ص23.

[3] – أندري برنيان وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر: رابح اسطمبولي وآخرون، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص385.

المبحث الثاني : البعثات الاستطلاعية الأولى:

إن اهتمام الفرنسيين بالجنوب الجزائري قد ظهر قبل القرن 19م، من أجل التوغل بإفريقيا ويظهر لنا من خلال الرحلات الاستكشافية التي قادها العديد من المستكشفين، وعليه اعتمدت كل من بريطانيا وفرنسا على إرسال هذه البعثات.

1.البعثات الأوربية البريطانية (قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر)

مثلت نهاية القرن (18) وبداية القرن (19) تحولا كبيرا في أوربا نظرا لمعطيات سياسية واقتصادية واجتماعية فرضتها التحولات التي عرفتها هذه القارة في اطار نهضتها الكبرى[1]، كما لعبت التجارة دورا كثيرا في ربط العلاقات الودية بين هذه المماليك سكان جنوب المغرب العربي،[2] لذلك استهوى هذا النشاط التجاري الواسع والمزدهر بالصحراء الدول الأوروبية، فعزمت على غزو الصحراء واستعمارها،[3] فقد كان اهتمام الأوروبيين بالصحراء الجزائرية سابق عن احتلال الفرنسي للجزائر، وتبين ذلك من خلال ما دونه الرحالة الأوروبيون، فاهتموا بمعرفة الطرق الصحراوية وتتبع منابع الأنهار الإفريقية كالنيل والنيجر وغامبيا وغيرها، وتكونت لهذا الغرض عدة جمعيات جغرافية علمية تكفلت بإرسال البعثات الاستكشافية وتحملت نفقات هذه الرحلات[4].

---

[1] بن زاوي مصطفى " المستكشفون الأوروبيون للصحراء الجزائرية " مجلة العلوم إنسانية، العدد 11 جامعة بشار 2004.ص 337.

[2] إبراهيم مياسي : المرجع السابق ص 406.

[3] إبراهيم مياسي : "مقاربات في تاريخ الجزائية"1830-1962، دار الهومة، الجزائر، 2007، ص26.

[4] يحي بوعزيز : المرجع السابق ص 126

نذكر من هذه الجمعيات على سبيل المثال الجمعية الإفريقيـــة The Africain Association التي تأسست سنة 1788 وقد كانت مشكلة النيجر أهم مشكلة اهتمت بها وكان اهتمامهـــا بالنـــهر النيجر أكثر من اهتمامها بكشف عن منابع النهر النيل[1]، فقامت في البداية بإرسال ثلاثة من الرحالين وهم هورن مان (Horn- Men) الألماني ولوكاس (Luckas) وليد بـــارد (Lydbard) في رحـــلات متتابعة، تحت رعايتها ولكنهم ماتوا جميعا، إما بسبب الأمراض أو قتلوا فاتجهت الأنظار بعد ذلك إلى نهر غامبيا للشروع في إرسال بعثات من هذه الناحية لأن البريطانيين قد أسسوا بها مراكـــز تجاريـــة، كذلك أرسل الميجر "هيوتون" الذي كان قنصلا في مراكش فبدأ رحلته سنة 1790 في مصب نهـــر غامبيا وتوغل نحو الداخل ثم انقطعت أخباره إلى الأبد، لذلك وقع الاختيار الجميع علـــى الرحالـــة الأسكلندي " مونغو بارك[*] (Momgo parrk) الذي كان يعمل طبيبا وكانت مهمته التعرف علـــى مجرى نهر النيجر[2].

وصل بارك Parrk إلى ساحل غامبيا في 1795م مع تاجر بريطاني يقيم على الساحل يـــدعى ليدلي Lydilé له صلات حسنة مع بعض التجار وخاصة تجار الرقيق الذين لهـــم معرفـــة بالمـــسالك الصحراوية، وقد تعلم بارك خلال هذه المدة لغة "الماندينغ"[*] وفي شهر ديسمبر بدأ بارك رحلته وقـــد رافقه دليل وخادم وكان يمتطي حصانا، بينما كان تابعاه يمتطيان حمارين، وحملت أمتعتهم على ثلاثة

[1] رياض زاهر " استعمار إفريقيا " دار القومية لطباعة والنشر، القاهرة.1965، ص 112.

[*] أنظر ملحق الخرائط، ملحق رقم 02.

[2] إبراهيم مياسي : مقاربات في تاريخ الجزائر، المرجع السابق ص 26.

[*] إحدى القبائل القوية التي تعيش في الداخل إفريقيا تدين بالدين الإسلامي الحنيف.

حمير أخرى، وسلكت هذه الفرقة طريق "بوندو"[1]، حيث تعرض بارك لسلسة من المتاعب مثل سلب السلطان "كاجا كاجا" لجميع أمتعته و لم يترك له إلا قميصا وبنطلون ومنديلين وحذاء وقبعة، ولكن ذلك لم يكن لما لقيه حين وقع في أسر تجار الرقيق، فحجزوه وبعدها استطاع الهرب على حصانه ثم كاد بارك يموت بسبب العطش وشدة العياء[2]، حتى وصل أخيرا في 1796 م إلى مدينة سيجو حيث وجد الطرق مزدحمة بالناس.

وفي مارس 1796م عزم بارك* على الوصول إلى نهر النيجر مع خادمه ولكنه وقع في أسر تجار الرقيق فحجزوه مدة تقارب الأربعة أشهر، استطاع بعدها أن يفر وبعد عدة أيام قضاها في الفيافي الخالية دخل بارك إلى بلاد سلطنة البامبارا ومنها وصل إلى مدينة سيغو التي يقدر عدد سكانها بحوالي ثلاثين ألف ساكن والتي اكتشف بها حضارة رائعة أعجب بها، بحيث لم تنل هذه المشاكل والصعوبات من عزيمة "بارك " الذي واصل رحلته إلا أنه تعرض للصوص، رجع إلى بلاد "الماندينغ " واستقر في مدينة "كاماليا" حتى أفريل 1797، لاحظ عادات وتقاليد " الماندينغ " التي أبهرته فسجل ثقافتهم وطقوسهم واهتماماتهم كما سجل كيفية بيع العبيد وتداول الذهب والجواهر الثمينة لذا حثت الحكومة البريطانية على بسط نفوذها واحتلال هذه المناطق عاد بارك إلى إفريقيا 1805 لإكمال بحثه فكانت قافلته تضم أكبر عددا وأكثر استعدادا فوصل إلى باماكو والمرة الأولى إلى نهر النيجر بحيث مكث بها شهرين وكتب منها آخر خطاب إلى زوجته ليؤكد لها أن حالته جيدة، ولكن لم

[1] إبراهيم مياسي : الاحتلال الفرنسي المرجع السابق ص 400.

[2] –رياض زاهر : المرجع السابق، ص 112.

* –أنظر ملحق الصور، ملحق رقم 01.

يسمع عنه شيء بعد ذلك عرف أن التوارق هاجموه عند بلدة كابار في أكثر من سنتين، هرب منهم بعد أن دافع عن نفسه، وتتبعه التوارق حتى أدركوه وحينئذ فضل بارك ورفاقه أن يقفزو إلى النـــهر حيث غرقوا على أن يقعوا في الأسر في سوق الرقيق[1]، وبعد التحريات التي قامـــت بهـــا الحكومـــة البريطانية تبين أن مونغو بارك قد وقع في كمين قتل على إثره مع من بقي من أصحابه [2].

توقفت الرحلات لفترة طويلة ثم استأنفت من جديد، فبعد عام 1815 جهزت بريطانيا عـــدة رحلات أخرى لاستكشاف الصحراء ومجرى نهر النيجر، فانطلقت البعثات من غرب إفريقيا وشمالها وشرقها ومنها رحلة الدكتور " أودني Odenni ومعه الملازم كلابرتـــون* klaprton والنقيـــب " ديكسون دنيهام " Dicson Dinham وكذلك رحلة ريتشارد ولانـــدر Ritchard Lander الـــذي اكتشف مصب نهر النيجر وخليج "غانا " عن طريق الصدفة، حيث وقع لاندر في الأســـر وبيـــع في سوق العبيد وسيق إلى باخرة بريطانية حملته عبر النهر إلى أن وصل إلى البحـــر ثم تمكـــن بمـــساعدة البريطانيين من العتق ودخل إلى انجلترا على متن البواخر البريطانية [3].

وفي عام 1818 وصل الطبيب الذي يدعى "جوزيف ريتشي" jouzef ritchi كان برفقـــة الضابط البحري جورج ليون jorge lion وعين هذا الأخير نائب للقنصل البريطاني في فزان وحسب التعليمات التي صدرت إليه يتضح الأتي "إن الهدف الأساسي من وراء تعنك هو التقدم تحت الحمايـــة المناسبة إلى مدينة تمبوكتو على وجه السرعة... إذا تمكنت من الوصول إلى هذه المدينـــة فعليـــك ألا

[1]– رياض زاهر : المرجع السابق، ص114.

[2]- إبراهيم مياسي :المرجع السابق ص29.

* –أنظر ملحق الصور، ملحق، رقم 02.

[3] إبراهيم مياسي : الاحتلال الفرنسي... المرجع السابق ص 402.

تفشل في جمع كل ما يمكنك جمعه من معلومات خاصة بمجرى نهر النيجر"[1]، وبعد مغادرة كل من ريتشي وليون من طرابلس لكي يصلا إلى فزان هناك مات ريتشي بسبب تعرضه لمرض الحمى ولهذا لم يتمكن ليون من الوصول إلى تمبوكتو لكنه جمع قدر كبير من المعلومات عن فزان[2].

وقد اتصلت الجمعية الجغرافية أيضا في هذه الفترة بالمغامر المشهور وهو النقيب غوردن لانغ Gorden Lang الذي اشتهر برحلاته الاستكشافية ومغامراته داخل إفريقيا، ولقد طلبت منه الجمعية أن يلتحق في مدينة تمبوكتو وينضم إلى رحلة كلابرتون الموجودة في سوكوتو لذلك غادر غوردن لانغ لندن في 1825 للوصول إلى طرابلس وبعدها انطلق مع الشيخ البابابي الذي يتمتع بمركزه الديني الهام في طرابلس ليحميه من التحرشات المعتدين، وفي منتصف الطريق هاجمه التوارق وجرحوه جروحا بليغة ونهبو أمتعته لكن الشيخ البابابي أنقضه من الهلاك وأسعفه بعد أن انتقل به إلى قبيلة ذات الأصول العربية حيث مكث لانغ حوالي ثلاثة أشهر، ورغم أنه لم يتماثل للشفاء فقد قرر مواصلة رحلته واتجه معا نحو مدينة تمبوكتو خوفا من الأمراض المتفشية بين أفراد هذه القبيلة التي استضافته.

وفي 18 أوت 1826 وصل لانغ إلى مدينة تومبكتو ثم غادرها بسرعة لكونه مسيحيا غير مرغوب فيه من جهة واعتقد أنه من الجواسيس الذين يكشفون أسرارهم ويقدمونها من جهة أخرى[3].

وبعد انضمامه للقافلة المغادرة من المدينة وقبل انطلاقها قتله قائد القافلة التي خرج معها، وأحرق جميع أوراقه ومذكرته و لم يصل منها شيئا إلى أوربا ويظهر ان قتله وحرق متاعه كان بسبب

[1] جوزفين كام " المستكشفون في إفريقيا "المرجع السابق،ص125.

[2] – رياض زاهر : المرجع السابق ص114.

[3] –إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 402.

اكتشاف مرضه الخطير الذي يمكن أن يتفشى وبائه بين المسافرين لذلك قرر رئيس القافلة التخلص منه[1].

2.البعثات الفرنسية الأولى :

كان نشاط الانجليز التوسعي في إفريقيا حافزا للفرنسيين ودافعا لهم لينشطوا أكثر في التوسع والاحتلال في الصحراء الكبرى [2] بدءا بالصحراء الجزائرية، معتمدين في ذلك على خطة أولية تمثلت في إرسال بعثات استكشافية[3] والتي يشارك فيها رحالة ومستكشفون من جنسيات مختلفة ومنهم روني* كاييه René Caillé[4] في أعوام 1824-1828، الذي كان منذ صغره شغوفا بالسفر والترحال، نشأ في أسرة فقيرة لم تمكنه من تحقيق رغباته كما انه لم يتمكن من إتمام تعليمه، فاضطر إلى العمل من أجل قوته، فامتهن الإسكافية، ولكنه سرعان ما سأم من هذا العمل فتركه وسافر إلى الخارج من أجل تلبية رغباته وهوايته المفضلة، فقرر السفر في سنة 1816 وغادر بلاده على متن سفينة اسمها لالورا Lalora متجهة إلى سنغال و لم يكن يملك سوى 60 فرنكا فقط، وقد حاول أن ينضم إلى رحلة التي نضمها النقيب غراي Gray في غرب إفريقيا لكنه فشل لذلك إنضم إلى غوادولبي بجزر أشيل[5].

---

[1] -يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 97.

[2] -محمد العربي الزبيري، مذكرة أحمد باي وحمدان بن عثمان خوجة وبوضربة، الشركة الوطنية للنشر ، 1973، ص 77.

[3] -يحي بوعزيز، دوافع الرحلات الاستكشافية، مجلة العلوم الإنسانية، ع 20، 2003، ص 158.

* -أنظر ملحق الخرائط، ملحق رقم 03.

[4] -إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 70.

[5] - إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 403.

وكان روني Ronné أول لمغامرين الفرنسيين الذين توغلوا في أعماق الصحراء، فعبر من السنغال إلى تمبوكتو ثم عاد عن طريق تافيلاليت إلى فاس والرباط وطنجة، عاش مدة طويلة مع البدو في هذه المناطق وتعلم لغتهم وأظهر نوعا من الاحترام والتقدير لمعتقدات وحفظ بعض آيات القرآن الكريم، وادعى أنه من أصل عربي وهو مسلم لكنه وقع في أسر إثر حملة نابليون بونابارت على مصر 1798م وأخذ إلى فرنسا وعتق هناك لذلك يحاول بعد عتقه أن يعود إلى مصر.

كان في نيته أن يخترق الصحراء إلى الشرق نحو مصر والحجاز في زي تاجر متظاهر بالإسلام بالرغم من أنه لم يتلق أي دعم من فرنسا ولا من انجلترا ورغم ما تعرض له من مصاعب جمة، فاكتفى بالوصول إلى تومبكتو والوصول إلى طنجة[1].

وغادر رونيه Ronné يوم 4 ماي 1828 على ظهر جمل مع قافلة متوجة إلى المغرب الأقصى عبر الجنوب الغربي الجزائري يوم 12 أوت وصل إلى مدينة فاس ومنها إلى مكناس وأخيرا إلى مدينة الرباط وفي 7 سبتمبر 1828 استقبله نائب القنصل الفرنسي بطنجة ثم أبحر إلى ميناء طولون بطنجة وقد قدم معلومات جغرافية وعرقية وثقافية والعادات والتقاليد وطريق معيشة السكن وظروفهم وغناها وحصونها وكل ما يزيد من مهام الفرنسيين في التقدم لتحقيقي أحلامهم وتوسعية في القارة الإفريقية. مما ادى بها إلى تحقيق أحلامها التوسعية في رسم الخطط الحربية للتوسع في الجنوب، وكشف روني عن أسرار هذه الأطماع الخفية على الأوربيين ويعتبر روني كاييه (R .Caille)أكبر المغامرين الفرنسيين الذين عبروا الصحراء من السنغال إلى تومبكتو وترك عنوان الكتاب

[1] – يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 98.

.[1] Journal d'un voyage a Toumbokto et dans L'intérieur d'Afrique

وبذلك فقد قدم للمصالح الفرنسية ملاحظاته وأنجز رسومات ومعلومـــات قييمـــة جغرافيـــة وحضارية عامة[2].

[1] –يحي بوعزيز ، من الملتقيات التاريخية الجزائرية، ط 2، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع في الجزائر، ص143.

[2] –عبد القادر بوابة، دور الرحالة والمستشرقين في احتلال الفرنسي في الصحراء الجزائرية، مجلة العصور الجديدة، العدد 06،جامعة الجزائر، وهران، 2012 ص 22.

الفصل الثاني:

نشاط الرحالة والمستكشفين وأنماطها

المبحث الأول: نشاطات التجارية والاقتصادية.

المبحث الثاني: مشاريع دينية تبشيرية.

المبحث الثالث: أهم عراقيل هذه البعثات.

المبحث الأول: نشاطات التجارية الاقتصادية

لقد إستهوت خيرات الصحراء المستعمرين وأسالت لعابهم ، وأصبحت الركيزة الأساسية في الإستراتيجية المستقبلية للاستعمار الفرنسي،من أجل أن تحقق فرنسا حلمها الداعي إلى تكوين إمبراطورية[1] بدءا من معلومات المهمة التي استفادت منها في اكتشافاتها الأوربية السابقة التي مهدت احتلال الصحراء، مع أن لفرنسا مستعمرات في إفريقيا الغربية في تجارة الرقيق في السنغال وغيرها وكان عليهم دراسة المكان من مختلف المعلومات عن المنطقة لخدمة السياسة الاستعمارية التي انتهجتها لسيطرة على الصحراء الجزائرية وحسب تطبيق المقولة "يجب معرفة الناس للسيطرة عليهم"[2].

1.البعثات التجارية الاقتصادية:

تعددت البعثات التجارية الاقتصادية للصحراء الجزائرية من طرف العديد من البعثات الاستكشافية حيث شجعت رحلة روني كايي Ronné Caille بريطانيا على أن تعاود اكتشاف الصحراء التي تفصل شمال إفريقيا عن النيجر[3]، وباعتبار أن فرنسا كانت تعاني من أزمة اقتصادية وفي صراع مع باقي الدول على المستعمرات الإفريقية وذلك لوضع خطط مستقبلية ومن بينها (بريطانيا

[1] -يحي بوعزيز، الاستعمار الأوروبي الحديث في إفريقيا وأسيا وجزر المحيطات، الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، 1988، ص41.

[2] -محمد بن محمدن، الرحالات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الكبرى، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 20 ديسمبر 2003 ص158.

[3] -إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص406.

وفرنسا) هذه الأخيرة التي ظلت المنافس العنيد لنشاط الإنجليزي وتوسعه الاستعماري خارج أوربا والبحث عن المجال الحيوي لها وبالخصوص في قارتي إفريقيا وآسيا[1].

ومن بين هذه البعثات إرسال بريطانيا سنة 1836 الرحالة جون دافيدوس John Davidson من الساحل الأطلنطي بالمغرب الأقصى قاصدا تمبوكتو، انطلق من إفريقيا الشمالية وصل إلى طنجة ثم اتجه إلى مراكش. وبعد مرور عام بالضبط على نزوله في طنجة، تمكن أخيرا من الشروع في رحلته انطلاقا من واد نون مع قافلة التجار إلى عرق أيجويد في 18 ديسمبر 1846، وأما مذكراته التي سجلها في هذه الفترة التي لم تتم بسبب وفاته، فقد نشرها شقيقه في لندن[2].

ومن المشاريع التجارية أيضا كان في سبق الجنرال دوفو Devaux الذي أبهر السكان بما أقام به من مشاريع، منها حفر الآبار وشق الطرق وفرض الأمن، كان دوفو على قناعة كبيرة بضرورة احتلال الصحراء بهدف حماية الوجود الفرنسي في قسنطينة واستغلال البلاد ككل وكذلك بهدف استغلال خيراتها، ومن هذا المنطلق سمحت لقافلتين تجاريتين فرنسيين انطلاقا من بسكرة إلى جنوبها يوم 1844/07/13[3] وكان هدفها معرفة أسواق المدن الداخلية، فاتجهت الأولى إلى تقرت والثانية إلى عين صالح فقد فتحت الباب لقوافل أخرى منها قافلة التاجر غارسيال Garsial الذي زار بسكرة عام 1848 وبالطبع فقد وظفت السطات الفرنسية كل هذه المعلومات بتوسيعها في الصحراء ونخص

[1] -أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982، ص35.

[2] -إبراهيم مياسي، مقاربات في تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص41.

[3] -محمد مبارك الميلي، مختصر في تاريخ الجزائر السياسي والتقدم الاجتماعي، المرجع السابق، ص262.

بالذكر عين ماضي 1844/04/22 والأغواط في 1844/04/25، لإعطاء هـــذا الاهتمـــام استكـــشافي والعلمي للصحراء صبغة سياسية قام الماريشال صولت Solt 1845 بإرسال تقرير للملك لويس فليب يقول فيه: " أن الصحراء أو بعبارة أخرى المناطق الواقعة جنوبي التلي الجزائري يجب أن تشكل نوعا الثالث من المناطق الإدارية[1].

بالإضافة إلى الضابط دوماس Domas بتشجيع من الماريشال بيجو Bugeaud ســـنة 1845 ترك كتابا بعنوان الصحراء الجزائرية[2] وهو دراسة إحصائية جغرافية تاريخية عن الجنوب القـــسنطيني وقد أكد أوغستين Augustin أن الهدف من التوسع في الصحراء هو تحقيق جملة من المكاسب أهمها حماية لوجود الفرنسي بقسنطينة من الخطر الثائرين وفي مقدمتهم الأمير عبد القادر إضافة إلى الحصول على الموارد والرزق من الصحراء التي كانت مصدر الثراء[3].

وفي سياق الإستكشاف نفسه يكشف كولومب [*]Colomb عن رحلة أخرى مهمـــة وهـــي رحلة استكشافية في ديسمبر 1856 طلب كولومب من الجنرال دوريو Dourrier القيـــام بجولـــة في الصحراء غرداية وقد كان الخليفة سي حمزة رفقة بعض الأعيان الشعابنة مرافقين لـــدوريو Dorrier بهذه الرحلة بعد أن جهز المكتب الفرنسي بجيرفيل (البيض) الرجلة بما يلزم، كالمثال اتخذوا من قـــادة

[1] –احميدة عميراوي، من ملتقيات تاريخية جزائرية، المرجع السابق، ص124.

[2] – احميدة عميراوي،السياسة الفرنسية للصحراء الجزائر،1844/1916، المرجع السابق، ص144.

[3] – احميدة عميراوي،من تاريخ الجزائر الحديث، ط 1، دار الهدى،الجزائر، 2009 ص100.

[*] ولد في 1823/01/06 بالفيجاك f'geac التحق بمدرسة عسكرية سانت فير في 1842 تخرج برتبة ضابط صـــف في فرقـــة المقاتلين المشاة 1844 ثم أصبح قائد عام 1853 تولى أمور مركز جير فيل قائد الحملة ضد الحميان رفقة سيدي حمزة، تقاعـــد عام 1888ن ينظر: فاطيمة حباش، سي الأعلى بن بوبكر القائد العسكري، ثورة ولاد سيدي الشيخ 1820-1896 مـــذكرة لنيل شهادة الماجستير بتاريخ لحديث والمعاصر قسم تاريخ وعلم لآثار ، جامعة وهران، الجزائر، 2004-2005، ص67.

أهل بعض المناطق الصحراوية كأدلاء من بينهم اتخاذ القائد أولاد يعقوب دليلا في رحلة الجنرال دوريو الأولى إلى ورقلة 1853 استعمل فيها كدليل لاكتشاف بعض مناطق الماء خاصة في مناطق متليلي منيعة، وواد زرقون ببشار، وهي مناطق عرف المستكشفون أهميتها الاستراتيجية.[1]

وأيضا رحلة بارث هنريParth henry تعلم بجامعة برلين تجول في ضفتي لحوض البحر المتوسط راجلا مما جعله يكتسب الخبرة في المشي،كما تعلم اللغة العربية لذلك اتصلت به الجمعية الانجليزية من أجل تنظيم التجارة لها في السودان والصحراء[2] وخاصة تجارة الرقيق رافق بارث في رحلته ريتشارد صون* Ritchard Son وأوفروانغ Overwang إلى طرابلس يوم 24 مارس 1850 من أجل الوصول إلى نهر النيجر، فوصل إلى بورنو في جانفي 1851 فقد افترقوا، فقصد بارك بحيرة تشاد في 1853 فوصل بعد مدة، ثم انحدر إلى جنوب بحيرة يولا ومنها قام بالدوران حول هذه البحيرة وذلك بقدر دائرة شعاعها في بعض الأماكن 300 كلم[3].

وقبل دخول فصل الشتاء اتجه بارك Parrk نحو غرب فوصل إلى كاسيا ثم دخل بعد ذلك إلى مدينة تمبوكتو في 07 سبتمبر 1853 بحيث امتدت مدة إقامته حوالي ستة أشهر وعلى الرغم من الحماية التي ضمنها له أحد الشيوخ المدينة وهو الشيخ بكاي فقد أوشك في عدة مناسبات أن يلقى نفس المصير الذي لقيه الميجور لانج الذي كان بعتقد السكان أن بارث ابنه، فقد تعرض لحمى عندما

[1]- De Colomb (le commandant) Exploration des ksoure et du Sahara de la province d'Oran imp du Gouvernement Alger 1858, p7-10.

[2] -إبراهيم مياسي المرجع السابق، ص406.

* أنظر ملحق الخرائط، الخريطة رقم 04.

[3] -إبراهيم مياسي، مقاربات..، المرجع السابق، ص42.

أراد مغادرة تمبوكتو اضطر أن يصحب معه كتيبة من الفرسان التوارق الذين نجح في كسب صداقتهم، ثم غادرها راجعا إلى طرابلس عن طريق مغاير في اتجاه الشمل إلى أن وصل إلى مدينة ساي، ثم اتخذ الطريق الذي سلكه في الذهاب إلى كوكا ومنا إلى طرابلس التي وصلها يوم 28 أوت 1855، ليعود على لندن يوم 06 سبتمبر 1855[1].

وهكذا استطاع بارث Parth أن يقدم معلومات دقيقة ومهمة عن الصحراء تشاد، حيث نجح في تحقيق الكثير من المعلومات الجغرافية والجيولوجية وحتى التاريخية للسكان، كما ساهم في ربط العلاقات التجارية بين أوربا وإفريقيا لذا يعتبر من بين الرحالة أو المستكشفين الذين أُبهروا بعملهم من خلال نشاطاتهم التجارية والاقتصادية، وقبل وفاته أي سنة 1865 قد حث فرنسا على القيام بعمل جبار وواسع في الصحراء الإفريقية[2] وأن تستحوذ على المناطق الصحراوية وتربطها بالجزائر، وعليه أن تتفهم عقلية السكان تلك المناطق وتحترم معتقداتهم وخاصة الدين الإسلامي، وأن تحمل السيف والبندقية في يد والكتاب والقلم في اليد الأخرى وقد كتب بارث Parth في أواخر حياته "لقد ألفت الصحراء فضائها غير المتنامي كنت بدون هموم وبعيدا عن الصغائر التي تخلق الرجال... إني شديد الحصرة لأن أضع نفسي في هذه الأغلال".

وبعد هذه الرحلة وقع الاختيار على الشاب المغامر والموهوب في التعامل مع الناس هنري دوفيرييه (Henri Duveyrier) ذلك أنه رغم نجاح بعثة إسماعيل بوضربة إلى غات، فإن المستكشف

[1] -احمدة عميراوي، المرجع السابق، ص65.

[2] -إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص83.

الفرنسي للصحراء الكبرى اهتم خصوصا بالتوارق[1]. ولد في باريس في 28 فبراير 1840م وأرسله والده ليتعلم التجارة في مدرسة التجارة بمدينة لتسنيك (ألمانيا)، وكان الرحالة والمستكشف الكبير لإفريقيا الصحراوية، فقد تعلم اللغة العربية وشرع في أول رحلة إلى الجزائر في 1857 وهو في السابعة عشرة من عمره، فسافر إلى الجزائر العاصمة ثم اتجه إلى الهضاب العليا في الجنوب حتى وصل الأغواط، عند بداية الصحراء الكبرى [2].

سافر إلى لندن فالتقى بالرحالة هنري بارث Henry Parth الذي قدم له نصائح والتعليمات التي تفيده في سفره[3] ومن ثم توثقت العلاقة بينهما وعند وفاة بارث حولت أسرته إلى دوفيري Duveryier جزء مهما من أوراقه ووثائقه فاستفادة منها في رحلته إلى الصحراء الكبرى، شرع في رحلته في 1859 في التاسع عشر من عمره، ارتحل إلى غرداية ويعتبر دوفيري Duveryier الرحالة لوحيد الذي لم يخف أنه مستكشف فرنسي مسيحي مثلما فعل ذلك كثير من الرحالة بل تنقل في زي مسيحي معلنا أنه أوروبي[4]، وبعدها قام برحلة الثانية بتكليف من الحكومة الفرنسية فقد تجول في إقليم التوارق جنوبي.الجزائر، تونس، ليبيا، فتوجه إلى واحة غدامس حيث قبائل الأجير، واستطاع توثيق الصلة مع زعماء هذه القبائل ومنهم الشيخ أخنوخن وذلك أن مساعدتهم له ولفرنسا تضمن له

[1] إبراهيم مياسي : مقاربات في تاريخ الجزائر.المرجع السابق،ص37.

[2] إبراهيم مياسي : الاختلال الفرنسي الصحراء الجزائرية.... المرجع السابق، ص،41.

[3] – عبد القادر بوباية، مرجع سابق، ص 23.

[4] احمد مريوش : التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري، مردود فعل سكان الهقار 1916م.مجلة المصادر.ع11 2005،ص:214.

مساعدة فرنسا ضد القبائل الأخرى المنافسة لها. وقد وضعت فرنسا أموالا تحت تصرفه من أجل أهداف رحلة ومن استمالة قبائل التوارق لتحقيق الغزو فرنسا لبلاده [1].

وظلت منطقة الصحراء خلال العهود الأولى من القرن 19م صعبة المنال بالنسبة للفرنسيين ولكنها من اهتماماتهم يتجلى ذلك في سياسة نابليون الثالث إمبراطور فرنسا، طلب من دوفيري Duveryier أن يزوده بمعلومات كافية حول إقليم [2] الصحراء خلال رحلة ثانية أي 1860، والظاهر أن الانشغالات الفرنسية بالصحراء الجزائرية لم تكن وليدة مرحلة البعثات الاستكشافية بل كانت سابقة لها وتمثلت في محاولة فرنسا استمالة بعض أعيان الصحراء والتعرف الجيد على أحوال الاجتماعية والدينية والنفسية لها ذلك من خلال المساعدة التي قدمها الشيخ عثمان لدوفيري والصلة التي كانت تربطه بقبائل الترقية، وكانت الدعوة والوساطة عن طريق قائد المنطقة ورقلة [3]، سي حمزة الذي زار المنطقة برفقة المترجم العسكري إسماعيل بوضربة، ولا غرابة في أن نجد الشيخ عثمان يصبح دليل البعثات الفرنسية في الصحراء، بل مد يد العون إلى دوفيري ثم استدعته السلطة الفرنسية 1862م لزيارة باريس والنزول في ضيافة نابليون الثالث جزاء له على خدمته التي قدمها لهم في الصحراء [4].

[1] يحي بوعزيز : المرجع السابق.ص:94.

[2]- Henri Lhot ,Le Hoggar espace et temps ,collection cinillisation,paris,1984 ,p.92.

[3] إسماعيل العربي : تاريخ الرحلة والاستكشاف في البر والبحر، المؤسسة الوطنية للكتاب.الجزائر.1986.ص:311.

[4] عبد الرحمان بدوي: موسوعة المستشرقين.المؤسسة العربية للدراسات والنشر.2003م ص:115.

اتجه دوفيري Duveryier إلى توارق الشمال ونشر كتابه تحت اسم "توارق الشمال" 1862م وهو عبارة عن دراسة شاملة لمنطقة التوارق، كما تضمن معلومات هامة على طبيعية للأرض، إضافة أنه يشتمل على ملاحظات تتعلق بحيوانات وأحوال المعيشة والطقوس الدينية وأصولهم وعاداتهم[1].

وفي غضون حرب 1870 وقع دوفيري Duveryier أسيرا في يد الألمان، وعرف المذلة والحرمان ولكن علماء الألمان كانوا يكنون له الاحترام والتقدير، حيث كانوا يرون فيه خليفة مواطنهم المتكشف بارث Parth وبعد مدة عاد إلى فرنسا واستأنف أبحاثه ودراساته فوضع كتاب كبيرا عن العرق الدينية الإسلامية كما نشر عددا من الوثائق عن جغرافية الإفريقية، وبعدها أصبح مستشارا وناصحا لمن أرادوا استكشاف الصحراء من بعده وفي مقدمتهم فيكتور Victor،ولارجو Larjou وفورو Forou، وكذالك زود هؤلاء برسائل توصية إلى الصحراويين وأصدقائه من التوارق كما تدخل لدى السلطات الحكومية في صالحكم للحصول على منح ومساعدات للقيام باستكشافاتهم[2].

2-البعثات الاقتصادية العلمية:

ومن ضمن نشاط البعثات التي اكتسحت طابع اقتصادي علمي والتي كان لها دور في التوسع الفرنسي منها الرحالة **"جير هارد رولفس"*** Jirhard Rolfes أسمه الحقيقي فريدك جير هارد رولفس*

[1] إسماعيل العربي : الصحراء الكبرى وشواطئها : المرجع السابق ص:86.

[2] إبراهيم مياسي : إحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص 409.

* أنظر ملحق الصور، ملحق رقم 03.

ولد في 14 أبريل 1831 بمدينة Vegesack في منطقة تريمن الحرة وتوفي في 2 يونيو 1896 مدينة Rungsdrof وهو واحد من أشهر الرحالة الألمان في إفريقيا بحيث رفض اقتراح والديه لدراسة الطب فقرر ترك المدرسة وفي عمره 17سنة فشارك في كتيبة "بريمن" وبعد ذلك شغل منصب رقيب في الجيش سنة 1850 م في معركة (I.dstedt) وتم ترقيته بسبب شجاعته وبعد مدة حلم بزيارة تمبوكبو الأسطورية لكن محاولته الأولى باءت بالفشل[1]، وقام بعدة رحلات لكشف الصحراء، انضم إلى فرقة لفيف الأجنبي الفرنسي التي كانت تعمل في الجزائر، تعلم اللغة العربية وبعدها اتجه إلى المغرب الأقصى حيث تجول في الجزء الجنوبي منه ثم نحو السوس، وبعدها إلى وادي درعا ومنه إلى تافيلالت ثم فقيق، فوهران، وفي الرحلة الثانية فقد إنطلق رولفس* Rolfes من طنجة إلى وادي زير عبر الأطلس ومن هناك إلى وادي الساورة[2]، ولكن قبل ذلك توجه نحو تافيلالت ثم إلى توات وإيجلي وبن عباس "ثم ادرار " ثم عين صالح التي وصلها في 1864/09/17 ثم اتجه شرقا إلى غدامس وهكذا استطاع اختراق الصحراء باتجاهاتها المختلفة مسجلا ملاحظات عديدة واصفا الأماكن التي توقفت بها مثل "عين صالح حيث وقف جير هارد خاصة حول قصور الساورة فيقول يبدو وادي ريغ واسعا جدا أو أعاليه البعيدة غير واضحة المعالم....وصلنا إلى ببردة "Berda" تقع في منطقة حيث يعيق وادي ريغ قبل أن يجتمع مع وادي ريغ قبل أن يجتمعو مع وادي زوزفانة "مكونين مع بعض وادي الساورة، كما يصف

[1] مؤنس مفتاح، جير هارد رولفس رمر أدب الرحلة الألماني، السنة الرابعة والعشرون جريدة القدس العربي ، ع 7308 الجمعة 14 كانون الأول، ديسمبر 2012 ، ص 11.

* أنظر ملحق الخرائط، ملحق رقم 05.

[2] مصطفى بن زاوي : المستكشفون الاوروبين للصحراء " جبر هادر رولفس واوسكار لانز نموذجان ع مجلة الجزائرية للمخطوطات، جامعة وهران، 2014، ص 338 /ص339.

جو الصحراء خاصة ولأنه وصل إلى إيجلي في 1864/07/19 وهو شهر حار جدا تتجاوز فيه درجة الحرارة 40° يقول فيها "تقع على الضفة اليسرى لوادي الساورة، تحيط بها كثبان رملية سكانها من الشلح ينهي وصفه بذهابه إلى بني عباس ثم وحات توات وتيدليكت وعين صالح ثم غدامس ومنها إلى طرابلس وبذالك يكون أول أوروبي الذي زار المنطقة تافيلالت منذ أن كتب* روني كاييه Ronné Caille تقريرا[1] عنها وقد تنكر في زي رجل دين في مرحلة الثانية*، ولكن مشروعه لم ينته بعد لأن نقوده كانت قد نفذت فاضطر إلى التخلي عن مشروعه.ويعد رولفس Rolfes أول رحالة أوروبي يعبر إفريقيا الغربية من ساحل البحر المتوسط شمالا إلى ساحل غانا جنوبا، وفي 1873 كشف عن بعض الواحات في الصحراء ليبيا كما قاد حملة في سنة 1878 أرسلتها الحكومة الألمانية بغرض الوصول إلى وادي ولكنه لم يصل إلى واحة الكفرة[2].

أوسكار لانز: Oscar Lenz مستكشف نمساوي من مواليد 1848م بدأ حياته العلمية في معهد الجيولوجيا قام برحلة استكشافية إلى الغابون توجه إلى طنجة ثم إلى فاس في إطار تكليف من الجمعية الإفريقية الألمانية حيث شرع في الاستعداد للرحلة داخل المغرب الأقصى والذي كان عليه أن يعبر الصحراء من مراكش حتى يصل إلى مصب نهر السينغال وهذا الطريق كان مشابها للطريق الذي اتجهه رونيه كاييه Renné caille وكان ليتز Lenz أثناء رحلته يصطحب معه جماعة صغيرة من

* -أنظر ملحق الوثائق، ملحق رقم 01.

[1] ابراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 406.

* أنظر ملحق الصور، ملحق رقم 04.

[2] رياض زاهر : استعمار إفريقيا : المرجع السابق ص 114.

أفراد[1] بحيث رخص له سلطان مولاي حسان بعبور المغرب خلال ثمانية أيام سير وصل إلى فاس وعبر وادي المخازن ثم مكناس فالرباط ومراكش الذي دخلها في يوم 14 فبراير 1880م حيث استعد للسفر نحو الجنوب لقد انطلق من مراكش خوفا على نفسه اتخذ اسما طبيب التركي المسلم وأضحى يُـــدعى الحكيم عمر بن علي وقد استعان لانس بمترجم من الجزائر يدعى الحاج علي بوطالب الذي ينحـــدر من عائلة الأمير عبد القادر واستعان بمترجم إسباني الجنسية من تيطوان يسمى كريـــسطوبال بنتيـــز Cristobal Bentiz يتقن العربية حيث بلغ وادي السوس ثم تارودانت حيث اتجه إلى وادي درعـــة ليصل بعد ذلك إلى تندوف والتي دخلها في 5 ماي 1880م قال فيها: "هذه المدينة الصغيرة الجميلـــة يسكنها عرب من قبيلة إتجاكانت، وكان صديق للشيخ علي يحضى باحترام كبير من قبل أهلها، غادر لانز Lanz تندوف في قافلة تتكون من مترجمين ودليل وخدم و9 جمال حيـــث وصـــلت إلى قبيلـــة البرانيس، وواصل رحلته حتى وصل إلى أروان، وهي مدينة تقع وسط الرمال، يسكنها عرب من قبيلة البرانيس وفي 17 جويلية سافر من تومبكتو متجها نحو السنغال عبر بلاد نيارا إلى مدينـــة ســـانلويس السينغالية ومنها إلى أوربا.

طيلة سفره في الصحراء جمع ليتر Lenz ، ملاحظاته الجغرافية وطبوغرافية، ثم خلص إلى القول بأن مدينة تومبوكتو انها ما زالت مضمحلة مع أن الوضع السياسي فيها كان أقل توترا، وفي منتصف جويلية 1880 غادر ليتر تومبكتو حيث وصل إلى مركز فرنسي يقع على نهر السينغال[2] ومن المشاريع

[1] - بن زاوي مصطفى، المرجع السابق، ص334.

[2] -مؤنس مفتاح، المرجع السابق، 204.

التي شغلنه مد خط الحديدي عبر الصحراء، محاولا التعرف على أهم المعيقات التقنيـــة والـــصعوبات السياسية، بعد انتهاء الرحلة[1]، ترك كتابا (1886-1887) تحت عنـــوان Tombokto, Voyage Au Maroc Au Sahara Et Soudan كانت رحلة لانز Lenz عملا علميا جليل القدر و لم تكن لـــه دوافع سياسية أو تجارية وذلك على الرغم من الحملات التي شنتها عليه الصحافة الفرنسية متهمة إياه بأنه طليعة لجيش بروسي للغزو والاستعمار في فرنسا[2].

3-البعثات السياسية:

تعتبر البعثات السياسية هي الأخرى من أبرز البعثات التي نالت الحظ الأوفر، فقد ســـاعدت فرنسا في حركاتها التوسعية نحو الجنوب الجزائري، بعثة الكولونيل فلاترس Fllaters خلال 1874 التي ضمت عددا هائلا من الضباط الفرنسيين تم تعينهم خلال ديسمبر، وبعد أخـــذت البعثـــة كامـــل استعداداتها عقدت أول اجتماع في بسكرة خلال فيفري 1880 وهذا بعد نجاح رحلته الأولى حيـــث جمع المعلومات طبوغرافية هامة عن المنطقة[3] الواقعة جنوب شرقي ورقلة وعلى مسافة حـــوالي 1200 كلم لكنه في رحلته الثانية التي ابتدئها يوم 4 ديسمبر 1880 متوجها إلى الهقار فقد ضمت هذه البعثة كل من فلاترس Fllaters ، عقيد المشاة والقائد الأعلى الأسبق[4] للأغواط (موسون) نقيب أركـــان الحرب (برينج) مهندس الجسور والطرقات (روش) Roche مهندس في المناجم وبرتـــار نقيـــب في

[1] -إبراهيم مياسي، احتلال الفرنسي.....، المرجع السابق، ص 407.

[2] -إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص99.

* شغل منصب حاكم عام لدائرة الأغواط بدراسة خط سير السكة جنوب مدينة ورقلة.

[3] احميدة عميراوي ، المرجع السابق، ص 72.

[4] جمال قنان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد 1994، ص 144.

سلاح المدفعية والطبيب غيارد Gayerd وبروسلار Broslare في المشاة وكابليو Kabilio ورابـــودان Rabdon مسيري الجسور والطرقات خلال ديسمبر 1880، انطلقت متوجهة نحو ميزاب، حيث قدم فلاتيرس Fllaters معلومات وافية حول المناطق وصف فيها الكثبان الرمليـــة والـــصخور والأوديـــة والأشجار والغزلان[1] وفي يوم الموالي توجه نحو "تيماسين" ودخل في محادثات مع بعض زعماء التوراق الذين كانوا بالمنطقة وعلى رأسهم اميتانقل أمينكول[2]، ثم اتجه نحو منطقة ميزاب وفي 26 ماي غادرت بلدة العاطف وسلكت واد ميزاب بإتجاه بني يزقن بغرداية أين استقبلهم رئيسها الشيخ الحاج يوسف.

وفي يوم 28 ماي واصلت سيرها نحو بلدة بريان لتصل الأغواط يوم 3 جوان 1886 فاستقبلها القائد الفرنسي بولا Pola ومن هناك رجع فلاتيرس Fllaters إلى باريس ليتلقى المزيد مـــن الـــدعم المادي والمعنوي على مجهوداته الجبارة في اختراق الصحراء، وخاصة من أصحاب المصالح الاقتـــصادية كمصلحة الطريق الصحراوي، ونظرا لهذا الدعم عاد إلى الجزائر وكلـــه حيويـــة ليواصـــل نـــشاطه الاستكشافي في الصحراء ليبدأ رحلته الثانية بالاتجاه بلاد التوارق ووضع نصب عينيه تحقيق ودراســـة مخطط سكك حديدية عبر هذه الفيافي، وعليه ســـتكون الرحلـــة ذات طـــابع علمـــي اقتـــصادي وعسكري[3].

[1]– سلسلة الملتقيات، فصل الصحراء في سياسة الاستعمارية الفرنسية، دار القصبة للنشر.2013، ص 225.

[2]– ابراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، المرجع السابق، ص 61.

[3] – احميدة عميراوي ، المرجع السابق، ص 72.

وضمت هذه البعثة و47 جنديا من الأهالي واثنين وثلاثين سائق بعير، وثمانية من رجال الشعابنة للاستدلال عن المسالك وأربعة توارق ومجموعة من الجمال تحمل أمتعتهم [1].

وللعلم فإن القنصل الفرنسي العامل بطرابلس أنذاك كان قد حذره من السقوط في فخ توارق إلا أنه لم يُعر لهذا التهديد أدنى اهتمام[2]، ثم بدأت القافلة في السير باتجاه سبخة أمادقور المدخل الرئيسي لبلاد السودان وواصل السير إلى واد تاجيرت الذي استقر به.

ومن مظاهر الاستدراج توارق لهذه القافلة هو إرسال "أمينكول" مجموعة من رجاله نحوها ليرشدها في سهول أمادقور، وما زاد الأمور تعقيدا هو وجود دليل البعثة لم يهتد فلاتيرس Fllaters إلى الصحيح منه، وانطلق من واد تاجيرت إلى منحدر نحو الجنوب الغربي، فوجد نفسه ضمن فخ جبلي ضيق يؤدي إلى سهل شاسع مغطى بالحجار السوداء، هذا المظهر الجديد والمخيف دفع بالدليل إلى طلب التراجع بحجة عدم المعرفة لهذه المنطقة[3]، فسلكت مسارا آخرا في ظروف قاسية (تعب، ارتفاع درجة الحرارة، نفاذ الماء). واصلت سيرها إلى أن عثروا على بئر ماء نصبوا حوله مخيمهم، وفي اليوم التاسع من فيفري تحركت البعثة سالكة الهضاب والتلال الصحراوية، وبدأت شيئا فشيئا تحتك بسكان التوارق الذين أظهروا لها نوعا من التذمر والاستياء، لكنها لم تعبئ بهم إلى أن حطت رحالها يوم 16 فيفري عند سهل رملي شاسع [4].

[1]- سلسلة الملتقيات، المرجع السابق، ص:226.

[2]- إسماعيل العربي، الصحراء الإفريقية الكبرى، المرجع السابق، ص 104.

[3]- إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 423.

[4]- احيمدة عميراوي، المرجع السابق، ص 74.

لكن التوارق نصبوا له كمينا بجانب البئر ووقعت معركة عنيفة بين الطرفين قتل على أثرها فلاتيرس Fllaters وبعض أعوانه[1]، و لم ينجوا منهم إلا القليل من جنود الأهالي الذين رجعوا سالمين إلى ورقلة ومعهم تفاصيل هذه البعثة، هكذا كانت أحداث هذه البعثة بمثابة صدمة عنيفة للعمليات الاستكشافية في الصحراء وأصبحت تعد من الوسائل المحفوفة بالمخاطر لذلك تعطلت هذه العملية لمدة سنوات[2].

من ضمن البعثات السياسية بعثة الضابط لابي Lapie الذي تمكن من وضع خريطة عامة للجزائر أبرز فيها تضاريس المنطقة الجنوبية وكانت هذه الخريطة أحسن أداة للتوسع الفرنسي بالصحراء، إن قادة الاحتلال وهم في الجزائر العاصمة قد استخبروا عدد قليل من العساكر[3] المشتغلين بالعاصمة، وتزودوا بالمعلومات الهامة عن الصحراء وسكانها مثلما حدث مع الضابط أفازاكا Avazaka الذي أنجز في عام 1836 دراسة جغرافية عن المنطقة وضع عليها المعالم الرئيسية خاصة طرق المواصلات القديمة وأرفقها بتصور عن كيفية استثمارها وقد تشكلت هذه اللجنة من عسكريين ومدنيين منهم كاريت Karit الذي قدم مؤلفا بعنوان Recherche Sur Le Geografie Et Le Commerce D'afrique Mirédionale [4]

[1] -Flatters les deux Missions: Op-Cit: pp.232-237.

[2]- إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، 1837-1934، المرجع السابق، ص 424.

[3] - احميدة عميراوي ، السياسة الفرنسية...، المرجع السابق، ص 142.

[4] - احميدة عميراوي ، من تاريخ الجزائري الحديث، ط 2، دار الهدى، الجزائر 2009، ص99.

المبحث الثاني: المشاريع الدينية التبشيرية:

يعتبر النشاط الديني هو الآخر من أبرز المشاريع الاستعمارية الذي ساعد الساسة الفرنسيين في حركة التوسع نحو الجنوب الجزائري، وخاصة بعد إدراكها بأن الدين الإسلامي عامل قوي،[1] وقد أكد هذه الحقيقة الرحالة لويس بولار Louis Bavlart بقوله بأن الدين في المجتمع الإسلامي من أقوى النظم الاجتماعية الثقافية التي تُبنى عليها شخصية الفرد والجماعة فتؤثر في السلوك وفي نمط الحياة الروحية والاجتماعية ويضيف الرحالة بأن الإسلام هو دين الغالبية والنصرة،[2] للشعب الجزائري للدفاع عن أرضه ومقدساته تحت لواء الجهاد[3] أما الأسقف "باني Banie" الذي على رأس الأسقفية المحلية سنة 1866 وهو شخصية فذة وقوية فرضت نفسها على الواقع الجزائري، حيث يقول عن نفسه أمام الرأي العام الفرنسي: "إني سعيت معكم لتحقيق الفتح ولجعل الأرض الجزائرية مهد أمتي العظيمة سخية مسيحية، فرنسا أخرى، وبعبارة أخرى لنشر من حولنا النور الحقيقي لحضارة يكون الإنجيل أساسها ودستورها، ولننقل هذا النور إلى ما وراء الصحراء إلى هذه القارة الكبيرة الغارقة في الظلام والتوحش وهو المصير الذي اختاره الرب[4] "وبذلك لعب التبشير* المسيحي دورا مباشرا في عملية الاستيطان الأوربي الفرنسي في الجزائر[5].

---

[1] -إبراهيم مياسي، التوزيع الاستعماري في الجنوب الغربي الجزائري، 1912-1981، المرجع السابق، ص110.

[2]- Baulard Louise: Un voyage en Afrique on description d'Alger, bibiotheque royale, paris, p5.

[3] -إبراهيم مياسي، مرجع نفسه، ص110.

[4]- Luis Engéne Lovet, les mission catholique au 19 si elle société de saint auguste paris, sd, z266.

* التبشير من الناحية اللغوية واللإصطلاحية يكون غير محله بالنسبة لواقع المسلمين، فهو من الجانب اللغوي يعني الأخبار السارة والخبرة، ومن ناحية المدلول فالمبشرون يطلق عليهم في أوربا اسم الارسالينت les missionnaire أو بعبارة أخرى Enangalistion وتعني الخير Angalisation الذي يعني الملائكة ومن هنا جاء المعني المقصود من التبشير ينظر G Blond et gay, paris 1931, p136-150. gorage goyen, mission et missionnaire

[5] -أحميدة عميراوي، من ملتقيات التاريخية، مرجع سابق، ص137.

1-سياسة لافيجري الديني في الصحراء:

تولى كاردينال لافيجري* La Vagerie مسؤولية تنفيذ سياسة التمسيح، وإدخال الجزائريين في بوتقة الفرنسيين روحيا وعقليا[1] وذلك من خلال ما طرحه لافيجري، فكرة التوغل في الصحراء عن طريق مبشرين عام 1867 "وقد بعث برسالة إلى "ج.رولاند" G.R Rolland أحد كبار المشروع السكة العابرة للصحراء قائلا له، لقد اعتبرت دوما مسألة التوغل في الصحراء والسودان الغربي أحد نقاط الأساسية لمصلحة فرنسا والجزائر"، وقد كان لافيجري واعيا تماما بالارتداد الأوروبي المتصاعد على إفريقيا، راغبا في أن يصل شرف العالم الفرنسي والفرنسيين إلى هذه المجالات الواسعة، لأن الأمر بالنسبة للافيجري متعلق بأحد الأمرين: انتصار القضية الإنسانية ممثلة في العدالة والحرية المسحية، من جهة وانتصار مصالح فرنسا من جهة أخرى.[2]

وفي سنة 1874 أسست في الجزائر جمعية مبشرى الجزائر La Société Missionnaire D'Alger أو الآباء البيض Pére Blanes كانت غايتها النفوذ خلال الصحراء أو السودان عن طريق عين صالح ونشر المسيحية في وسط إفريقيا بين الأقوام الذين يعبدون الأصنام واستقرت جمعية الآباء البيض أولا في بسكرة الأغواط ومتليلي[3] وقد قتل التوارق ثلاثة مبشرين (منصرين):

---

*-كاردينال لافيجري، من مواليد 1825 /1892 رئيس أساقفة الجزائر مؤسس جمعية الآباء البيض سنة 1868 قادة حملة بنسرية شرسة ضد سكان الجزائر وخاصة شلف كان شعاره الحير في اليد والصليب في اليد الأخرى"

[1] -صالح فركوس، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصرة، 1830-1925، مديرية النشر لجامعة قالمة 2010.

[2]- George Rolland, le transsala rien un au après, Alfred mame et fils éditeur, paris, 1876, p6.

[3] -لا يتحكم المراقب في العضوية بالمؤسسة إلا إذا أتى ستة عشر سنة تامة، وبالنسبة لمن هم دون السن فيوجهون إلى مدارس تحضيرية تحمل اسم بيت الرهبة الصغير أو المدرسة الرسولية، ويدخل المنخرط للتعلم بين الرهينة الكبير استعدادا للعضوية، لا يقبل بهذا البيت من لم يتم دراسة الدينية متدرجا إلى مادة الفلسفة بالخصوص، ما عدا الحالات الخاصة، التي تخضع لقرار المجلس، أما بالنسبة للكيان فالذين يتقدمون إلى الجمعية سواء كان علينا أو رجل دين أو قسيسا فيتوجب عليهم الإقامة وإمضاء سنة تجريبية كاملة بعد أن يلبس الكسوة.... ينظر mourice barrés faut –il autriserles congrégation?libraires palem, 3ed, paris (sd), p65.

-بولمي (Marie –Affred Paulmier) من أبشرية باريس[*].

-مينوري (Philippe Ménorets) من أسقفية نانت Nants

-بوشارد (Pierre Bouchard) من أسقفية ليل Lille[1]

عندما غادروا متليلي قاصدين عين صالح كان طموح كاردينال لافيجري بوصول مهمته إلى تمبوكتو حيث سارعت مؤسسته إلى تأسيس محطات خارج المراكز الأوربية دون تواجد العمليات العسكرية، فأنشأت محطة متليلي في سنة 1875 –على بعد 260 كلم من الأغواط، وكذا 140 كلم من ورقلة– لتكون أولى طرق القوافل نحو السودان، نحو السودان خارج حدود السيطرة الفرنسية،[2] ومن هذه المحطة آخذ كل من الأبوين "كرمابون"Krambon وبوليمي Poulmierفي التوغل حتى القولية،– 200 كلم جنوب محطة متليلي جنوبا– بهدف دراسة الطرق التي تؤدي إلى الداخل الإفريقي والتحضير بالمحطة الموالية التي تكون أبعد نحو الصحراء.[3]

كان اهتمام المبشرين بالصحراء ضمن الاهتمام الأوربي بها، إذ أنه من الناحية العلمية يعتبر سقوط واحة الزعاطشة في يد السلطة الفرنسية إثر الحملة العسكرية عليها بقوة 19.000 محارب يوم 24 سبتمبر 1849 البداية القوية للتوسع الأوربي في الصحراء.

* أنظر ملحق الصور،ملحق رقم 03.

[1] –ابراهيم العيد البشي، دور سكان الجنوب الشرقي الجزائري في مقاومة الاستعمار الفرنسي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع11، جوان 2013، ص33.

[2]– Brelion, Le R.P.Alexis Pouplard des Peres Blonc 1857-1881 imprimbrie mission d'Afrique, 1904, p66.

[3] Vuillot, Op Cit, p140.

ويترجم هذا السقوط الإصرار الفرنسي على التوسع رغم المقاومة العنيفة التي لحقت الكولونيل فلاترس Fllaters واعتبرت بمثابة صدمة عنيفة لعمليات الاستكشافية للصحراء ولهذا السبب تعطلت الاستكشافات لمدة قصيرة.[1] ما لبثت أن انطلقت من جديد وبكل قوة رغم مخاطرها.

ذلك أن نجاح مهمة الأب ريشارد Richard سنة 1876م عند الإفوغـــاس والإيمانغاســـتان*، وخبرته للصحراء ورحلاته التجسسية، باعتباره طبيب يتقن النطق بالعربية حيث أصبح وكأنه عربي، كل ذلك شجعه على معاودة الرحلة والوصول إلى غاث نفسها، ففي 18 ديسمبر 1881 إنطلق الأب ريشارد Richard مصحوبا بالأب مورات Morat وبوبلار Pouplar إلى غدامس متبوعـــا بـــبعض الشعابنة والأدلاء من التوارق إيمانغاستان ليصلوا إلى هدفه المنشود، ولكن اليوم التالي من الرحلة تمت مهاجمتهم من طرف مرشديهم في الصحراء إلى هدفهم المنشود والذين يتكونون من ثلاث توارق على بعد -40 كلم- جنوب غدامس فوجدوا جثثا هامدة على ربوة صغيرة تدعى تين كوفار[2].

2-نشاط الأب ديفوكو 1858-1916:

يعتبر من أبرز المبشرين الذين ساهموا في ازدياد النفوذ الفرنسي للجنوب الجزائري الذي قام في الأول برحلة إلى الجزائر سنة 1880 ضمن الفرق العسكرية للخيالة ومكث في عنابة وسطيف مدة[3].

---

[1] -تجمد نشاط في وسط الصحراء طيلة الست سنوات من انطلاق الحادثة.

* قبيلة امنغاسن: تنقسم إلى ثلاث أقسام، القسم الأول منها يعرف ب "ايناكن" Inemmakalin ونيجيهن آبار Tegehe Nablar ونيجهي ن بدال Tegee Bedden

[2] -إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، المرجع السابق، ص426.

[3] - عبد السلام بوشارب، المرجع السابق ص110.

وبعد أشهر استقال نهائيا من الجيش و لم يبلغ عمره بعد السن 24 سنة[1] ومع انـــدلاع ثـــورة بوعمامة [2] في الجنوب الغربي عاد "ديفوكو" مرة أخرى ليحمل السلاح من جديد ليحارب فيما كان يراه حربا مقدسة ثم استقال في عام 1881تمامـــا من خدمة الجيش[3] وبعدها قرر القيام برحلة إلى أعماق الصحراء لخدمة فرنسا والمسيحية قصد الحصول على نتائج أكثر إيجابية من التوسع الحربي لكنه بعـــد الدراسة تأكد أنه لا يمكن القيام بذلك إلا بعد تعلم اللغات[4] وقرر التجول في المغرب وجمع معلومات عنها، فتنكر في زي الخادم اليهودي مشرد وفقير، وطاف جبال الأطلس المغربي من 20 جانفي 1883 إلى 23 ماي 1884 وخرج من هاته الرحلة بمعلومات غزيرة[5] تعد دليلا قيما ومرجعية أساسية أفـــاد بها قوات الجيش الفرنسي،[6] لهذا كانت أوقاته كلها مكرسة للمخابرات مع رجال الجيش، فتنقلاتـــه تهم الجيش بالدرجة الأولى[7] وقام بعدها بدورة في الجنوب الجزائري، وفي عرض الصحراء من المغرب

[1] – عبد السلام بوشارب ، المرجع السابق، ص110.

[2] – إبراهيم لحاج أحمد المؤسسة التنصيرية في الصحراء الجزائرية في نهاية القرن التاسع عشر ميلادي، مذكرة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم تاريخ وعلم الآثار، جامعة قسنطينة 2، الجزائر، 2011-2012، ص65.

[3] –"le charles de Foucould ermite au Sahara" en l'Ami du clerage Paroissial, Supplémént à Ami deu clergé, N35, Langens, 1931/08/27,p503.

[4] –ا حميدة عميراوي ، من الملتقيات التاريخية الجزائرية، مرجع سابق، ص137.

[5]– "le charles……." op.cit, p505.

6 –صادق دهاش، نتائج الثورة 1871 وأبعادها ومظاهرها، مجلة المصادر، ع 14، 2006. ص43.

[7] –عبد السلام بوشارب، المرجع السابق، ص118.

إلى تونس عبر بني عباس والأغواط وغرداية والمنيعة* وورقلة وتقرت نحو الجنوب التونسي حتى قابس سائرا وفق المعالم التي رسمها له "ديفيري" Duveryier الذي التقى به عدة مرات.[1]

فقد كان يسعى إلى إخضاع الجنوب إلى رجال الكنيسة والجيش وهذا شيء غريب من رجل يدعي الدين والعبادة والرحمة لأن ديفوكو كان يعتبر الصحراء طريق للوصول إلى الله[2].

فنوعية عمله أكسبته ميدالية ذهبية من الجمعية جغرافية، وشهرة كبيرة بعد نشر كتابه "معرفة المغرب"، وقد عبر عنه الجغرافيين في تلك الفترة بالقول "كل دراسة أخرى أمام هذه الدراسة هي عبارة عن حديث أطفال"[3]

ويقال أن دي فوكو Defoucaud* ظل يهتدي بمعالم الاستكشاف التي وضعها سلفه ديفيري Duveyrie، الذي كان على اتصال به فيما يبدو وخلال تواجده، في بني عباس التي طاب له العيش فيها، وقد نشر بها دعوته التبشيرية والاستعمارية[4] وللقيام بذلك كان يتطلب التنقل مسافة المئات الكيلومترات، وفي بني عباس أسس جيش الاحتلال حصنا للمراقبة ولاستثمار ثروة المنطقة البالغ عدد سكانها 1500 فردا الذين كانوا يعيشون في فقر وجهل كبيرين، وتطلب القيام بهذا الأمر

* هي إحدى دوائر غرداية تحتفظ بمتحف هام يحتوي على العديد من المخطوطات وبقايا الآثار الهامة، والغريب في الأمران المتحف لا يزال تحت تصرف الكنيسة إلى وقتنا هذا وأن المسؤول عليه أحد الفرنسيين المستشرقين وله دراية حول المنطقة الصحراء ويملك وثائق هامة حول نشاط ديفوكو بالمنطقة ينظر احميدة عميراوي ، مرجع سابق، ص113.

[1] -Ami Du Chargé Pocoissial: supplément à l'ami du chargé, ami du chargé, n 35 sn, langare, 1931/08/27.

[2] – احميدة عميراوي ، مرجع سابق، ص153.

[3]– "Le Cherle……." Op.Cit, p505

* –أنظر ملحق الصور، ملحق رقم 04.

[4] – إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص137.

الحصول على إذن من الحاكم العام والآباء البيض، وقد تمت الموافقة على إذن هذا المشروع الذي كان يهدف إلى تطبيقه الكاردينال لافيجري الذي صرح أن الجزائر أصبح ملكا للعالم المسيحي[1].

في سنة 1901 انتقل ديفوكو Defoucaud إلى الهقار ذلك للتوسع الاستعماري بها تمكينه بالوصول صوب دول إفريقيا الوسطى والاستوائية بل وحتى نحو الأراضي الليبية التي كان دي فوكو يراهن عليها بانتظام، ولعل من بين العوامل التي سهلت مهمة هذا المبشر الخطير هو تكوينه العسكري الذي أهله للعمل في قضايا الاستخبارات العسكرية أولا، ثم نشأته التبشيرية[2] حيث قضى لأكثر من اثني عشر عاما في التقرب من التوارق ليتعلم اللهجة التارقية فانجز قاموسا من الفرنسية إلى التارقية* ومن التاريقية إلى الفرنسية في أربع مجلدات ومن أشهر أعمال ديفوكو[3] عمله التبشيري التمركز بين فصائل القبائل الترقية وكسب الأطفال وتحبيب في نفوسهم مبادئ المسيحية والتربية وفق المنظومة الاستعمارية،[4] بقوله "الطفل هو المستقبل والقرية التي يحبو فيها الأطفال الضباط وبعد عشرة سنوات سيكبر أطفال القبيلة وينمو معهم الولاء لأفكارنا" ولتحقيق ذلك قام دي فوكو باختطاف طفلا من بني عباس لينشئه على الديانة المسيحية وسماه بول مارابوا Paul Marabout وما إن بلغ رسن الرشد

[1] -احميدة عميراوي ، المرجع السابق، ص151.

[2] -إبراهيم مياسي ، المرجع السابق، ص 137.

* لغة تخاطي التوارق هي "تماشيق" وكتابتها: "تيفيناغ" تحتوي على نسبة كبيرة من حروف اللغة الفينيقية.

[3] – أحمد مربوش ، التوسع الاستعماري إلى جنوب ورود سكان الهقار 19165، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والأبحاث في الحركة الوطنية وثروة أول نوفمبر، ع 11، 2005، ص134.

[4] -بوشارب عبد السلام، المرجع السابق، ص 110.

ووعى ما يحاك حوله تمرد على متبنيه وانفصل عن ديفوكو وغير اسمه إلى مبارك ليـــنظم إلى إخوانـــه التوارق ويعيش معهم[1]، اعتمد ديفوكو على مبادئ تبشيرية استعمارية منطلقا من قاعدتين:

أولا: محاربة العقيدة الإسلامية لأنه يعرف تماما أنها صلبة وقوية وتشكل الدرع متين في وجه أي تغلغل وتشتت صفوف المسلمين ومنع التنصير من القاعدة إلى القمة حيث كان يتجـــول قـــرب المخيمات السكنية محاولا الدخول في علاقات مع الأطفال فيقدم لهم السكر والحلو، لكنه لم يـــسجل نجاحا كهذا المسعى أول الأمر وكان يستنتج من خلال ردة الفعل الأطفال كيف هو رأي العام اتجاه الفرنسيين.[2]

ثانيا: دراسة لغة وعادات وتقاليد وثقافة وذلك من خلال ما عدته من قبائل الهقـــار الـــتي أعلنت خضوعها للقوات الفرنسية بفعل سلوك ديفوكو الذي يتمثل في توزيع الهدايا على شيوخ هذه المنطقة لكسب ودهم معتمدا على كبار السن والعجائز بالخصوص، فجمـــع المفـــردات والأمثـــال والأشعار وحفظ الكثير من هذا الشعب المحارب الشادي الجوال[3]

لكل هذه الأسباب نصب ديفوكو قسيسا عاما في الصحراء ولعل ما يوضح ذلك مـــضمون الرسالة الشهيرة التي بعث بها إلى رهبان الجزائر والتي تقول فيها: "إني سميت لتحقيق الفـــتح معكـــم وجعل الأرض الجزائرية مهدا لأمة عظيمة مسيحية فرنسا أخرى وفي كلمة واحدة، تنشر من حولنـــا

[1] -إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص137.

[2] -إسماعيل العربي، تاريخ الرحلة الاستكشافية في البر والبحر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1946، ص345.

[3]- Ami Du Chargé, Op.Cit, P504.

الأنوار، الحقيقة يكون فيها الإنجيل المنبع والقانون، وحمل هذه الأنوار إلى ما وراء الصحراء إلى قلب هذه القارة الكبرى..."[1]

فقد استمر نشاط ديفوكو إلى بداية القرن 20 وذلك بعد عودته إلى الجزائر في 1909م ليواصل رحلة الاستكشافية عبر الصحراء الشرقية، وفي هذا كيف السبيل إلى هداية التوارق وتخليصهم من العذاب الذي هم فيه[2] استقر بتمنراست* بين سنة 1914 نوفمبر 1916 إلى غاية مقتله، وذلك بعدما أصبحت نشاطات هذا الراهب تتطور وأصبحت مريبة ومشبوهة وقامت الشكوك حوله.[3]

ومن الأسباب التي أدت إلى مقتله رغم اختلاف العديد من المؤرخين في تلك الاعتداءات التي نفذها القائد العسكري ببرج تاها وهات (قرب تمنراست*) في حق بعض المواطنين التوارق فقد اتضح أن الكثير من هؤلاء الضحايا كانوا ممن أوفدهم إليه الراهب دي فوكو محملين برسائل كانوا يعتقدون أنها ستنفعهم، في حين أن شارل ديفوكو كان يدفعهم إلى الموت بعد أن يئس منهم وآثاروا مخاوفه كعناصر وطنية لا يؤتمن بها فقد استغل أميتهم وزودهم برسائل قد تكون فيها خطط للتوسع أو أهم الطرق في الصحراء الجزائرية[4] وإخلافه للوعد الذي قطعه على نفسه والقاضي بعدم إدخال الأسلحة والذخيرة إلى البرج الذي كان يقيم به لهذه الأسباب التي تهيأت ظروف قتله فهناك من المؤرخين الذين

---

[1]- Marie André, Le Pere De Foucould, missionnaire, toulouse, paris, 1937.p19.

[2] -اسماعيل العربي، مرجع سابق، ص343.

* الأعمال وجهوده التي قام بها دي فوكو تأسيس مركز تلغرافي فصار البريد يصل ما بين تمنراست وباريس خلال 22 يوما وفي 1908م تأسيس آخر على بعد 100 كلم عن تمنراست ينظر عبد السلام بوشارب، مرجع سابق، ص126.

[3]- Marie André, op.cit, p20.

[4] -إبراهيم مياسي، الاحتلال.....، مرجع سابق، ص243.

ذكروا أن من نفذ عملية قتله ثلاثة ثوار ثائرين من قبيلة آيت لوارين[1] إلا أن بعض المصادر الأخرى تذكر أن عملية نفذتها عصابة تتكون من ثلاثين تارقيا سنوسيا آتين من حدود طرابلس غربا من القبيلة معادية لقبيلة موس أغ أمستان لا يمتون بطرابلس بأية سنة بأية صلة قصدوا برجه يوم الجمعة 1 ديسمبر (كانون الأول) 1916م،[2] وفي الوقت الذي اعتاد فيه دي فوكو على استلام البريد وهذا بعدما اصطحبوا معهم المسمى المهدي*، الذي كان في طريقه إلى البرج لتوصيل بريد ديفوكو[3] وعندما ناد المهدي دي فوكو معلنا عن قدوم البريد، ففتح دي فوكو الباب وهنا انقضى عليه الثوار فتم اقتحام البرج للبحث عن السلاح ليتم تكبيل دي فوكو وكلفوا شاب[2*] الذي معهم بحراسته وأمام مقاومة دي فوكو لفك وثاقه أطلق عليه الحارس النار فأراده قتيلا[4] ولا تزال آثار الرصاص من ظاهرة على جدار البرج، وبمقتله توقفت طموحات ومشاريع "المؤسسة التنصيرية" إلى غاية ثلاثينيات القرن الماضي[5]

[1] -أحميدة عميراوي، مرجع سابق، ص 126.

[2] -جرجيس القس موسى، شارل ديفوكو (رسول إخوة شاملة)، منشورات المطبعة الكاثوليكية، بيروت،1987، ص 235.

* الملقب ب: المدني حراثا" سنوسينا زنجيا وقدسبق أن أحسن إليه شارل ديفوكو مرارا.

[3] -عبد السلام بوشارب، المرجع السابق،، ص125.

[2*] صبي في الخامسة عشر من عبره، اسمه بالتارقية (سرمي أف طهرا).

[4]- عبد السلام بوشارب، المرجع السابق،، ص 125-126.

[5] -Remé Bazin, Op-Cit, p321.

المبحث الثالث: العراقيل التي واجهت البعثات الاستكشافية:

تنوعت العراقيل والعقبات التي اعترضت الرحالين الأوربيين وبالأخص الفرنسيين وهم يحاولون النفاذ إلى عمق الصحراء الكبرى، ومن تلك العراقيل ما هو طبيعي مرتبط بالموقع وبمعالم الأرض وتكويناتها، ومنها ما هو سوسيو ثقافي متآتي من طبيعة المجتمع الصحراوي نفسه.[1]

1.العوائق الطبيعية:

إن اختراق الصحراء الكبرى من شمال تصاحبه صعوبات طبيعية ندرة إن لم يكن انعدام المياه وقساوة المناخ حيث ترتفع درجة الحرارة لتصل حد لا يستطيع الأوروبيون تحمله إلا بشق الأنفس إذ تتجاوز درجة 50 في بعض الأحيان.

هذا فضلا عن عزلة المناطق الداخلية وبعدها وصعوبة التنقل عبر المنطقة لانعدام الطرق الآمنة والمعروفة والطبيعي أن يكون هذا المناخ وابلا على المستكشفين الأوروبيين ذلك أن: "رياح السموم التي تهب في إفريقيا وصحاريها القاحلة حيث لا ماء ولا مرعى والعواصف الهوجاء" قد أهلكت معظم الرحالة الذين حاولوا اجتياز هذه القارة[2] ومن هنا فإن "الصحراء كما يقال "تفترس من لا تعرفه".

وهكذا فإن العوامل الطبيعية وقفت لهم بالمرصاد فأحواض تلك الأنهار مملوئة بالبرك القذرة والمياه الملوثة، بالحشرات الضارة والجراثيم والميكروبات التي تسبب أمراض[3] قاتلة مثل الملاريا ومرض

[1]- Henri, Paul, Eydoux, l'exploration du sahara, paris, gallimard, 1938, pp242.12

[2] -محمد بن محمذن، والرحلات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الكبرى، (الدوافع والعراقيل) مجلة العلوم الإنسانية، عدد 20 ديسمبر 2003، ص10.

[3] -زاهر رياض، المرجع السابق،، ص 108-109.

النوم والحمى الصفراء والإسهال، و لم تكن قد كشفت وسائل حاسمة لعلاجها[1] فالحمى وحدها عرقلت الاكتشافات في إفريقيا أكثر مما عرقلتها سيول العارمة والحيوانات المفترسة.

ويكفي أن نعرف بنسبة 87% من مرافقين الرحالة الاسكوتلاندي مانغوبارك* هلكوا متأثرين بالحمى قبل الوصول إلى نهر النيجر[2].

لذلك يجزم الرحالة المواليين في مقدمة الرحلة بأن المناخ هو ألد عدو يواجهه زائر للمناطق الإفريقية الداخلية، و لم يكن المكتشفون الغربيون عرضة لمواجهة الظروف الطبيعية القاسية فقط.

2.العوائق السوسيو ثقافية:

تضافرت جملة من العوامل الثقافية والبشرية بعضها يتصل بالدين والبعض الأخر باللغة وقد مثلت هذه العوائق حواجز ساهمت في غلق المناطق الداخلية الإفريقية أمام التوغل الأوربي، ومما زاد الأمر تعقيدا داخل صحراء الإفريقية، كون هاته المنطقة محاطة من جميع الجهات لبلدان اعتنقت شعوبها الإسلام ومن منطلق التزمت الخوف من الغزاة واجهت تلك الشعوب الأوروبيين ممثلة عقبات لهم و لم تكن إزاحتها إلا باستخدام العنف.

ولعل هذا ما جعل الأوروبيين الذين يحاولون دخول المنطقة يتظاهرون باعتناق الإسلام وبالانتماء إلى أصول الشرقية مخافة للتعرض للتهلكة[3] فهناك بعثات متعددة تنكرت في شكل تجار ورجال دين ومن أشهرهم لامس داوس Lams Daws الذي تنكر في شكل يتناسب مع معتقدات السكان المحليين بطريقة لا تدع مجالا للشك بهويته وملابسه ولحيته الطويلة (المخطبة بالحنة)

[1] -شوقي الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ط 2، دار الزهراء، الرياض، 2002، ص13.

* مانغوبارك (1771-1806) طبيب جراح مستكشف اسكوتلاندي، قام بمهمتين استكشافيتين لنهرا نيجر أولهما خلا سنتي 1795-1797 والثانية بدأت سنة 1805 وتوفي أثنائها في بوصا نيجيريا.

[2]- Habret.Dexchamps L'Europe Découvre l'Afrique.Afrique Acci deutale (1794-1900) edition berga. Lenault, paris 1967-p241.

[3] -محمد بن مخذن ، المرجع السابق،، ص11.

وسبحته برقبته التي توحي لأحد رجالات الصوفية، والذي قتل بمكان يعرف "بالعين"بعد اكتشاف أمره[1]

ومع ذلك فإن اكتشاف الصحراء كلف أوربا نسبة مرتفعة من الخسائر البشرية الناجمة عن مقاومة السكان، إذ أن حوالي نصف الرحالين الكبار الذين حاولوا استكشاف تلك الصحراء قد اغتيلوا على أيدي السكان المحليين.[2] ومثلا على ذلك بعثة دورنو دويري Dorno Dowery وجوبار Jobar سنة 1874 حيث تم قتلهم على يد بعض من سكان المنطقة[3] وفضلا عن الحواجز الطبيعية فقد مثلت اللغة بدورها عقبة أما المستكشفين الفرنسيين الذين يجهلون في غالبيتهم العظمى اللغة العربية، مما جعل ثقافتهم مع سكان مسألة مستعصية.

كانت المناطق الجنوبية تزداد انغلاقا في وجه الفرنسيين كلما اشتد إلحاحهم عليها[4] فقد واجهوا صعوبات كثيرة في التوسع جنوب صحراء الجزائر، بسبب صلابة مقاومة السكان من جهة، وقساوة الطبيعة الممثلة في شدة الحرارة والجفاف، وتباعد المراكز العمرانية عن بعضها البعض من جهة أخرى.[5]

بل إن التعامل مع السكان المحليين كان في بعض الأحيان، أدهى وأمر ذلك أن الرجل الأبيض لم يكن أبدا محل ترحيب لهؤلاء السكان بحكم التمايز الاجتماعي والثقافي الواضح، فلقد شهدت

[1] –مولاي توهامي الغتاوي، لفت الأنظار إلى ما وقع من النهب والتخريب والدمار بولاية أدرار إبانة احتلال واستعمار، مطبعة الحديثة، الجزائر، ص 115.

[2] R.Callie- Journal D'un Voyage à Tomboctou.., op.cit.p 291.373.

[3] rene Pottin, Fllaters collection, les grand colonaux , paris 1948,p98.

[4] –جمال قنان، المرجع السابق، ص146.

[5] – إبراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1844-1937، المرجع السابق،، ص411.

منطقة التوارق على غرار باقي جهات الوطن مقاومة عنيفة للاحتلال الفرنسي[1] والتي تبدأ عادة بإيفاد رحالة لاستكشاف المناطق، ندل على ذلك مما حدث في عام 1800 حينما قام المغامر الألماني (ويرفمان) برحلة بدأها من مصر في اتجاه النيجر لاستكشاف الصحراء الكبرى لصالح جمعية اكتشاف إفريقيا، ولكنه مات في تمبوكتو عندما وصل إليها، وقيل أن التوارق تركوه بدون ماء، وقتلوا كل من كان معه من جماعته حتى لا يعرفوا شيئا عن الصحراء.[2]

وهذا ما حدث مع بعثة فلاترس Fllaters التي اعتبرت كارثة أثرت على الروح المعنوية للفرنسيين، من خلال ملاحقة ومطاردة التوارق لهذه البعثة، فقد كانت بعثة فلاترس Fllaters تعاني من نقص المياه التي مثلت لهم مشكلة كبيرة وزاد من خطر هذه البعثة كثرة عدد أفراد البعثة ودوابها، لما كانت الحالة ملحة للماء ومما زاد الطين بلة أن رجال القبائل التوارق كانوا يرفضون تزويد البعثة بالمياه حتى يعرضوا أرواح أفرادها للخطر كي يتمكنون من القضاء عليها بسهولة.

التقى التوارق بالكولونيال الفرنسي اكسافيه فلاترس Colonail Paul Xavier Flatters وأقنعوه بالمجيء، وصل معهم إلى هذه البئر انقض التوارق عليه مستخدمين أسلحة نارية وقتلوا كل الأفراد ما عدا عدد قليل من حمالة العرب[3] الذين يعتبرون كمرشدين للبعثة، ففي سنة 1855 وجه الحاكم العام بالجزائر دعوة لأحد الأعيان المدعو الشيخ عثمان الذي كانت له الصلة بالعديد من القبائل الترقية، وكانت دعوة وساطة عن طريق قائد المنطقة ورقلة سي حمزة الذي زار الولاية العامة

[1] –عبد السلام بوشارب، المرجع السابق،، ص102.

[2] –جمال قنان، المرجع نفسه، ص99.

[3] جوزفين كام، المرجع السابق، ص ص 204، 205.

برفقة المترجم العسكري إسماعيل بوضربة[1] ولذلك لا غرابة أن نجد فيما بعد الشيخ عثمان يصبح هو دليل البعثات الفرنسية في الصحراء، بل يمد يد العون والمساعدة، ومن ثمة استدعته السلطة الفرنسية سنة 1862، لزيارة باريس والنزول في ضيافة نابليون الثالث جزاءا له عن الخدمة التي قدمها لها في الصحراء[2].

وفي عام 1825 قام الماجور ألكسندر Alexander المبعوث من قبل الحكومة الانجليزية برحلة إلى الصحراء لاستطلاعها ونجح في الوصول إلى تومبكتو مرورا بعين صالح غات وأدرار وأثناء عودته في اتجاه طرابلس شك التوارق في أمره هو ورفاقه فقتلوهم.[3]

وخلال عام 1896 قام مركيز بانطلاق من تونس إلى قابس فانضم إلى قافلة دوز (نفزاوة)* حيث بدأ يتعرض للصعوبات وتحرشات بعدما توغل في الصحراء من طرف الشعابنة* ليتفق التوارق على القضاء عليه بعدما تمت سرقت وثائقه ومهره بمكان سمي "بهود المهري" وفي صباح 9 جوان ركب ناقة و لم يكد يتقدم قليلا حتى تلاقه الرصاص من الشعابنة الغاضبين قضت عليه نهائيا[4]

---

[1] Henrie lhote, le Hoggar espace et temps, op.cit, p 92.

[2] أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 115.

[3] – عبد السلام بوشارب، المرجع السابق، ص99-100.

* قافلة دوز (نفزاوة) لقيادة العامل أحمد بن حمادي، وهم إبراهيم حشية، وهو صديق العامل ومحل ثقة وبركة الهمامي خادم العامل ومحد المبروك المرزوقي، ينظر إبراهيم مياسي، المرجع السابق،، ص443

* الشعابنة: هي من القبائل العربية البدوية واستوطنت بالأحواز وورقلة مع القرن السادس عشر، وتعتبر متليلي المركز الأول لها، بعدها بدؤوا ينتشرون في مناطق مختلفة ومشكلين عشائر: –الشعابنة الهب الريح تمركزوا بجنوب ورقلة– الشعابنة بروبة أو الشعابنة الشفة استقروا بورقلة عين البيضاء، –شعابنة متليلي (البرازقة) استقروا بالنواحي الغربية للورقلة، –شعابنة القبالة أو مواظي القليعة استقروا (القليعة) ينظر: Demaght (Major), Ouargla, Bsgo 4, (1878-1881), p09.

[4] – إبراهيم مياسي، المرجع السابق،، ص433-434-435.

ليكون هذا مصير الكثير من المغامرين الأوربيين الذين حاولوا دخول الصحراء تحت أي شكل من أشكال، لعلم التوارق أن تلك الفرق الصغيرة ما هي إلا مقدمة للاستعمار الذي كان يرسلها للتعرف على طرق المياه وأماكن الذهب والمعادن، ومن الجواسيس الذين لقوا مصرعهم أيضا بالصحراء الجاسوس فوجيل وكذلك نوغمان دونيري وبورهان.

وهذا ما جعل التوارق يحرضون أكثر على تقصي أخبار البعثات الاستكشافية فكانوا يقضون على كل من يقدم منها، غير أنهم قتلو خلال سبعينيات من القرن الماضي عددا كبيرا من هؤلاء المجازفين أمثال دوري ورونو بين غاث وغدامس قرب عين الأزهار، كما قضوا على ثلاثة قساوسة وبعدها بفترة قتلوه عددا أخر من بينهم فلاترس المشهور باستطلاع أماكن الذهب والمعادن والماء.

وهكذا وقف التوارق وقفة صلبة في وجه المستعمر الفرنسي وجواسيسه واستطاعوا أن يفشلوا محاولات كثيرة، وحالوا دون معرفة طرق الصحراء ومسالكها.[1]

[1] – عبد السلام بوشارب ، المرجع السابق، ص100.

الفصل الثالث

نتائج سياسة التوسع الفرنسي بجنوب الصحراء

المبحث الأول: نتائج السياسية والعسكرية.

المبحث الثاني: نتائج الاقتصادية التجارية.

المبحث الثالث: النتائج الاجتماعية.

المبحث الأول: النتائج السياسية والعسكرية:

شهدت الفترة الأخيرة من القرن التاسع عشر تغيرات كثيرة خاصة فيما يتعلق بالسياسة المتبعة في الصحراء الجزائرية، فقد كانت البداية بانطلاق جملة مختلفة من مشاريع الاقتصادية والعسكرية والسياسية[1]، فمنذ عام 1844 أصدر البرلمان الفرنسي قانون يقضي بمد منطقة الاحتلال نحو الجنوب بإنشاء مراكز عسكرية في المدن التي تتحكم في المبادلات التجارية بين الشمال والجنوب: سبدو[*] سعيدة[*2] تيارت، ثنية الحد بوغار سنة 1844 ،فقد تم في السنة 1844 احتلال مدينة بسكرة والتي تمثل من وجهتها مفتاح التجارة الصحراوية بالنسبة للمقاطعة الشرقية للبلاد[2]، ولكن لم تأت الانطلاقة الفعلية حتى نهاية 1851، بقيادة الحاكم "ماريشال راندون" Randon وهو الذي أكد فكرة التوغل في الصحراء، إذا كان يرى أن حماية مشيدات فرنسا في التل تقتضي الاستقرار النهائي في الهضاب العليا، فإنشاء مركز "جيري فيل"[*] (البيض) Géryfille،[3] والذي تأسس في لتكون مركز عسكري تتصدى لمقاومة سكان المنطقة وتسهل السيطرة على الجنوب الغربي[4] يتبعه احتلال الأغواط

[1] -الخفايا العسكرية، لتشتبت الفرنسيين بالصحراء "أخطر البترول"، جريدة المجاهد، ع 102.

[*] سبدو هي مدينة وقرية تابعة إلى دائرة ولاد ميمون ولاية تلمسان، الجزائر، كانت قاعدة متقدمة للحامية العثمانية ونظرا لموقعها الاستراتيجي كونها بلدة كبيرة وبوابة للصحراء كانت دوما هدفا للأطماع جيث سيطرت عليها طرق التي تربط الشمال الغربي للجزائر بالجنوب الغربي كله على البوابة الأمامية في الجنوب الصحراوي، كانت أهم نقاط دفاع للأمير عبد القادر، ينظر: فاطيمة حباش ،سي الأعلى بن بوبكر القائد العسكري لثورة أولاد سيدي الشيخ، 1820-1896، مذكرة لنيل شهادة الماجستير قيم تاريخ وعلم الآثار، 2004، 2005.ص36.

[2*] سعيدة: هي آخر المدن على الأطلس التلي ولها من الجهة لإسلامية قيمة تاريخية كبرى لأنها كانت من إحدى العواصم التي تيشدها الأمير الحاج عبد القادر ملكه وجعلها قاعدة أعماله وعمرها بالذخيرة والسلاح هاجمها الجنرال ينجو من معسكر قصد غتلافها وأيقن الأمير أنه لا يستطيع الدفاع فأحرقها والتجأ إلى جبال الحساسنة وقد بنى الغربيون في مكانها حصنا سنة 1844 للمزيد ينظر: مختار حاسنس، المرجع السابق، ص270.

2 -جمال قنان، المرجع السابق، ص140.

[*] وهي مدينة البيض حاليا

3 -H.M.de La Martinier & la croix documents pour server à l'etude du nord ouest africain éd gouvernement général de l'algerie 1897, t3, p3.

4- فاطمة حباش ، المرجع السابق ، ص32.

ما هو إلا مرحلتين متعاقبتين في سبيل المسير نحو الجنوب كحتمية كانت تراها السلطة الفرنسية فهذه الحتمية فرضت على فرنسا أن تتجه إلى الواحات ولا تنتظر في أن تأتي إليها[1].

وفي هذا الإطار انطلقت العديد من البعثات الفرنسية من بينها بعثة دورنو ديبيري وجوبارت Jobert فقد بذلوا قصارى جهدهم في التوغل أكثر نحو الجنوب حيث وصل (Baurneaux Duperré) في سنة 1874 إلى بلاد التوارق ناجر "ولكن تمت تصفيتها في الطريق بين غات وغدامس[2]، وكذا بعثة فلامند Flamend- Plin في مهمة تجسسية سنة 1899م، مدعومة بقوة عسكرية يقودها النقيب بان Pein لتصل إلى عين صالح يوم 11 ديسمبر 1899م.

اعترضهم السكان المحليون، فوقعت معركة كبيرة من الطرفين في مكان يدعي الفقطيرة.[3]

1-سياسية التوسع الفرنسي:

ساند عملية التوسع مجموعة من المغامرين كانوا يستكشفون المسالك في أعماق الصحراء وكان رولف Rolfs أول رحالة يصل "عين صالح"* ويعود منها بمعلومات ووصف مستفيض وكان قد انطلق من مدينة الجزائر على أمل الوصول إلى السنغال عبر "تيديلكت" لكنه لم ينجح في المرة الأولى وحاول مرة ثانية عبر المغرب آخذا مسلكا باتجاه الجنوب الشرقي "توات إلى عين صالح"، وعاد

[1] -.M.De La Martinier & la croix, opcit, p6.

[2]- Augustin Bernard & lcroix, op cit, p95.

[3] -عبد المجيد فذي، صفحات من تاريخ منطقة أولف، ط 2، دار الأبحاث، الجزائر، 2007، ص52.

* -تبعد 1000 كلم جنوب الأغواط و1400 كلم جنوب الجزائر.

منها بنتائج مهمة عن الوضع السياسي والاقتصادي وقدم للسلطات تقارير مهمة حول الفوائد المرجوة التي ستجنيها فرنسا من احتلالها لهذه الواحات[1].

هكذا كانت جهود التوسع ترتبط بحركة الحكومة ومشاريعها وبرحلات المستكشفين ومدى تقدمهم خاصة مع بداية الخمسينيات[2] والتي استمرت لسنة 1876 مع رحلة "ساي"say" ما كانت محاولة صولي هي آخر أبعد محاولة توغل حتى ذلك الوقت، لكن على صعيد التقدم الميداني للقوات الفرنسية ورغم الخرائط المرصودة من هؤلاء الرحالة إلا أن خطوط التقدم الاستعمارية لم تتجاوز حدود الواحات الشمالية للصحراء، أي عند إقدام الأطلس الصحراوي، و لم تتجسد مطامع الحكومة ميدانيا حتى عشرية الثمانينات من القرن التاسع عشر.

نفس السياسة التي انتهجها "راندون"* قام الحاكم العام "لويس ترمان" (Louis Timau) باتباعها إذ دفع بالمواجهة إلى إتمام الاحتلال بكل الواحات الشمالية بداية بمنطقة الأبيض سيدي الشيخ وإلحاق ميزاب سنة 1882، وإنتهاء باحتلال "القولية" Goléa (المنيعة)سنة 1890، وكان "جول كامبون"[2*] Dules Cambon قد دخل هو آخر باستراتيجية عسكرية هجومية باتجاه أقصى الصحراء مع الأخذ في الحسبان بالإطار العالمي المواتي، إذ قرر الشروع في عملية التقدم نحو واحات "التوات"

[1] Paul Vuillot, le xoloration du sahara (étude historique & géographique) augstin challamel éditeur, paris, 1895, p104.
- M.De La Martinier & la croix, opcit, t3, p11.

* الحاكم العام للجزائريين نوفمبر 1881 وأفريل 1891.

[2*] –الحاكم العام للجزائريين أفريل 1891 وسبتمبر 1897.

وسلسلة الهقار في سنة 1892[1] وإنشاء مراكز محصنة في الحدود الجنوبية للمتلكات الفرنسية على طول الحدود الجنوبية للجزائر على شاكلة اللّوميس الروماني[3*]، حيث رأت فرنسا أن الحاميات المنصبة بالأغواط وميزاب واسترجاع ورقلة، أبعد نحو الوصول للجنوب، كونها أصبحت نقاط دعم بعيدة عن الامتداد المحقق حتى سنة 1892.بما يزيد عن 1000 كلم، فقد قرر الجنرال "دولبياك" Doulbics مد الحصون والقلاع العسكرية بداية من سنة 1885 إلى جنان "بورزق" على لحدود الغربية لحماية الواحات الغربية، ومد سكك الحديد إلى غاية عين الصفراء لتدعيم مركزها، أما في الجنوب الشرقي فقد دعمت أيضا بالحصون وأنشأ كل من "برج بورصوف" Bordj Berssouf وبرج ألمي Bordj Elmey برج لموندن Bordj Lallemand حصن انفل Fort Inifel حصن مربيلFort Miribel حصن ماك ماهون Fort Mac Mahon وجميعها أقيمت من بين (1892-1894)[2].

وخلال ست سنوات الممتدة بين 1891-1897 كانت فرنسا قد بلغت جنوب "القولية" goléa 270 كلم -كونفدرالية ميزاب- في خطى متسارعة بغرض إتمام هذه التحصينات المشكلة لمثلث رأسه "القولية" وقاعدته "تيديلكت" و"توات" 700 كلم أبعد إلى جنوب من القولية،

[1] -Augstin Birnard & N.la croix, la pénétration saharienne 1830-1906 inp, algérienne, alger, 1903, p96.

[3*] –وهي إحدى التحصينات من الأسوار والأرباح المراقبة التي وضعتها الإمبراطورية الرومانية على طول الحدود الجنوبية لمنع القبائل البدوية من اختراق الأراضي الزراعية أو إتلافهاوهي أراضي لهم في الأصل حرموا منها بفعل قوانين المواطنة الرومانية، ينظر: محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية أثناء الاحتلال.

[2] Jean Charles Hambort, fort & bordj de extreme send sahara, algerien 1892-1903 édition jaques guidini, paris, 1993, p20.

فهي قاعدة النشاطات والعمليات المقبلة كما الواحات الجنوبية، فهي تساعد على مد احتلالها حتى الواحات الجنوبية وكهدف مستقبلي ابعد جنوبا بربط الشمال الإفريقي مع السودان الغربي[1].

2-التوغل نحو الهقار واحتلاله:

كانت فترة الستينيات والسبعينيات من ذات القرن فترة الرحلات الاستكشافية والعملية والعودة بالتقارير الجغرافية والجيولوجية والاقتصادية حول مختلف المناطق، وقام بهذه الرحلات مختصون وهواة وأشهرهم "هنري ديفري" 1860-1861 وماسكوري Masquaray إلى ميزاب سنة 1878 وكانت الرحلات مدعمة من الحكومة ومن مؤسسات الجغرافية ومنها الخاصة بدعم مشروع سكة الحديد[2].

وأهم الرحلات الاستكشافية في تلك الفترة هي رحلة فلاترس "1880-1881" الذي حاول فيها وفي فرصتين اجتياز سلسلة الهقار، ولكن قتل و لم تكتمل مهمته في المناسبة الثانية حيث قامت الأصوات في داخل وخارج فرنسا منادية بضرورة الثأر لهذه الحملة، وقد كانت هذه الحادثة من بين الذرائع التي عجلت باحتلال ميزاب احتلالا عسكريا مباشرا، حين لجأ البعض من القضاء على مهمة "فلا ترس" بميزاب في أوساط 1882، وقد تمت عملية السيطرة على قولية (المنيعة) ونواحيها بين عامي 1887 وسنة 1890 وكانت بداية مرحلة جديدة في التعامل إذا حاولت فرنسا التقرب أكثر من توارق "ناجر لذي ربطت معهم اتفاقية تجارية منذ سنة 1862 عند توارق "الأهقار" للصراع الذي كان قائما بينهم فقد كلفت الحكومة الفرنسية الجنرال طوماسين Tmomassin بالتفاوض مع زعماء

[1] -P.Vuilbert, Opcit, p239.
[2] -Qustave Vallat, opcit, p323.

أولا سدي الشيخ الشراقة، والغرابة معا، لإقناعهم بالتوقف عن العنف، والعودة جميعا إلى الجزائر حتى يضمنوا لقواهم الغازية، الأمن والسلاح، والرجال المحاربين، وتم لهم ذلك عام 1883* بعد أن انتهت أحداث الشيخ بوعمامة ورفاقه[1].

في التسعينيات من ذات القرن أصبحت الرحلات عبارة عن بعثات علمية مدعمة بفرق عسكرية، قد أعقبت زيارة الوفد من الكونفدرالية الجزائرية سنة 1892 بإرسال فرناندو Fernand Foureau ليباشر المهامات الاستطلاعية في الصحراء بعد مهمة "فلاترس" قصد الوصول إلى السودان وتلقي دعما ماديا ومعنويا كل من المؤسسة الجغرافية لباريس ووزارة الحربية لتتم بين السنوات 1893 و1899 بتسع رحلات.[2]

اخترق خلالها الصحراء الكبرى طولا وعرضا، مع الضابط لامي Lamy ووضع عدة دراسات عن حالاته، فإهتم بالتوارق ومنطقة الهقار[3] فقد وجد معارضة من الدخول حتى من التوارق "ناجر" بسبب الخلاف حول طرق الرحلة والجمال المستعملة ومصدرها...، على أن يشاركوهم في المهمات ويستفيدوا منهم، فكان يضطر في كل مرة أن يعود أدراجه ولكنه ابتداءا من 1898 أصبحت قوافل المشكلة من فرق المهاري الصحراوية وفرقة من التركوس Tavcas على رأسهم لامي Lamy وأول

* اتخاذ الحكومة قرار رسمي بالاتصال المباشر مع الثوار دون الوساطة وأوكلت المهمة بالكامل صلاحيتها وبشكل مطلق إلى الجنرال توماسين قائد ومفتش العام للجيش وإلى بالاسكا Palaska ، ونفذ هذا الأخير المهمة بنجاح كبير حيث تم عقد الاتفاق مع الدين بن حمزة في يوم 30 ماي 1883 تضمن شروطا والتزامات ينظر: فاطيمة حباش المرجع السابق، ص ص 115-116.

[1] -احميدة عميراوي، السياسة الفرنسية الصحراء الجزائرية، المرجع السابق، ص93.

[2]- Qustave Vallat, Ibid, p93.

[3]- Fernand Foureau , Rapport sur ma misson au sahara et chez les touareg azdjer, octobre, 1894 a mai 1895, paris, A.G hallmet, 1895, p 199.

قائد لمركز قولية، وتقدم "فورو" في مهمته من دون مشاكل تذكر وقد تحولت هـــذه الجـــولات إلى الاستطلاعات عسكرية أكثر من كونها مهام علمية[1].

كما قام ميري Miryبرحلات إلى بلاد توارق أزجير من أجل الحصول على حريـــة المـــرور القوافل الفرنسية إلى السودان الأوسط، وفعل مثله بيرنارد داتانو Bernard D'attanoux وحتى عامر بن حوة، وبيرنجير، وإيمار، وبروسلار، قاموا برحلات إلى منطقة التوارق، ووضعوا دراســـة متنوعـــة عنها، فعامر بن حوى الذي كان عضوا في رحلة فلاترس الثانية ووضع دراسات عن الرحلـــة منـــذ إعدادها وسفرها إلى تحطيمها على يد التوارق وشرح كيف نجا هو وعاد سالما[2].

وركز روني بوابي على أهمية احتلال عين صالح والواحات الجنوبية لـــصالح عمليـــة التوغـــل الفرنسيين الاستعماري إلى أقصى الجنوب ما وراء الهقار.

وفي تلك الفترة عادت الآلة العسكرية من جديد للتقدم بعد أن جمعـــت مـــا يكفـــي مـــن المعلومات، فكلفت الجنرالات "مربيل" و"بريال" Barail بالتخطيط والتحضير لاحتلال "عين صالح" وواحات "توات" وتم فعليا التحضير لهذا لكن كان على فرنسا الانتظار عشر سنوات قبل أن تعـــرف تقدما جديدا نظرا لظروف العالمية في تلك الفترة والتي لم تكن تسمح بذلك، حيث دخلت كل مـــن فرنسا وانجلترا وإسبانيا وإيطاليا وألمانيا[3]، في صراع وتنافس استعماري متنامي ففي سنة 1890 وقعت

[1]- Gustave Vallet, op-cit, p223.

[2]- Amour Ben Hawa, Document Indetits Sur La Deuxieme Mission Flatters Resait D'ameur Ben, Traduit Zt Annote Par A.Cause, Blida, Imp, A.Maugun, 1894, p3.

[3]- Jean, Charles Humbert, Op-Cit , p6-7.

باريس معاهدة مع انجلترا مكنت بمقتضاها من الانفراد بالنفوذ والهيمنة على كل منطقة واقعة ضمن نهر النيجر، بحيث أصبحت في مأمن من منافسة دولة أوربية[1].

ففيما بين سنتي 1891 و1897 أعدت قيادة الجيش الفرنسي خمسة مشاريع لحملات العسكرية لغزو مناطق الجنوب، غير أنها لم توضع موضع التنفيذ للأسباب مختلفة أهمها ارتفاع التكاليف المالية المطلوبة لإنجازها[2]،وقد فتحت البعثة العلمية للأستاذ (فلامون) إلى منطقة تدلكت أفاقا واسعا نحو التوسع في الصحراء الجنوب الجزائري، انطلقت البعثة في خريف 1899م، من مدينة ورقلة أخذت طابعا علميا في البداية الاستكشاف منطقة تادمايت غير أنها تحولت في الأخير إلى حملة عسكرية شرسة احتلت على أثرها مدينة المنيعة، ليتم تمركز العدو بمنطقة (الشبابة) التي تبعد عن المنيعة 140 كلم للجهة الجنوبية الغربية[3].

ومع نهاية هذه العشرية أخذت فرنسا للتحرك من جديد في الصحراء الجزائرية باتجاه عين صالح أين احتلتها في جانفي 1900 واجتمع المقاومون من "تديلكت" و"توات" ضد القوات الفرنسية لكنها لم تفلح في رد الهجوم نظرا للمسافة البعيدة بين الواحة والأخرى، واستقبلت السلطات الفرنسية في الجزائر الخبر بفرح وبهجة، وعبر المفتي للحاكم العام لا فيريار" La Feriére في ليلة 27 رمضان الموافق ل 27 جانفي من نفس السنة بأنه حدث هام في أرض الإسلام والأهالي وسيستمتعون بهذا الانتصار ضد قطاع الطرق، استنكرت الحملات العسكرية بشكل متواصل وعنيف خلال سنتي

[1] A.Bernard Et N La Croix, Op-Cit, P 90.

[2] -جمال قنان، المرجع السابق، ص 146.

[3] -بشير ملاح، تاريخ الجزائر المعاصر، 1830-1989، المرجع السابق، ص206.

1902-1901 تمكنت على إثرها القوات الفرنسية من تثبيت أقدامهم في هذه المناطق ومع ذلك فإن المقاومة لن تستسلم وسميت لهيبها إلى منطقة الهقار ولذا تجدر جدوتها نهائيا في هذه المناطق إلا عند منتصف الثلاثينيات من هذا القرن[1].

3-الاستعمار يستكمل احتلاله للجزائر:

مع اتساع رقعة التوسع الفرنسي نحو الصحراء، وإدراك السلطات الاستعمارية لأهمية هذه المنطقة، بدأ مشروع الاستعماري يتوسع شيئا فشيئا حول المناطق الصحراوية وإحداث حملات توسيعية في كل جهات الجنوب الجزائري، وكان رد سكان الصحراء على هذا الزحف بتنظيم مقاومة عسكرية، قادتها شخصيات قوية تميزت بمكانتها الدينية وقدرتها العسكرية[2] ومن أبرزها ثورة أولاد سيدي الشيخ التي كانت على اتصال دائم مع قبائل مرارا الذي لم يكن خفيا على السلطات الفرنسية بل أصبحت تدرك ما يخطط له الثوار، وردا على ذلك انطلقت مباشرة في أخذ الاستعدادات المناسبة تصديا للعمل الثوري، وبناءا على هذا القرار أعطى الحاكم العام بيليسي* الأوامر إلى حاكم تيارت بوباتر Beaprétre بالتوجه على رأس قوة عسكرية باتجاه البيض جيري فيل تحديدا نحو معسكر "سي سليمان" فتمركز بهضبة عوينة بو بكبر، أين فاجئه سي سليمان في صباح 8 أفريل 1864 بقوة عسكرية تقدر ب 3.000 جندي منها عناصر قبيلة الشعابنة والمخادمة، دارت معركة قوية بين طرفي

---

[1]- Gustave Vallat, Op-Cit, p297.

[2] – فاطمة حباش، المرجع السابق، ص53.

* –الحاكم العام بيليسي pellisier لم يعطي الأوامر إلى بوباتر beaprétre فقط بل اتخذ إجراءات أخرى، فبعث كتيبة الصبايح تابعة لتلمسان نحو العريشة جنوب سبدو، وفي مقاطعة الجزائر بعث كتيبة أخرى نحو طاقين، تحت قيادة القائد بوغارة، أنظر فاطمة حباش ، المرجع السابق، ص 47.

أبلى فيها الثوار بلاء حسنا رغم وفاة زعيم المسلمين بن حمزة[1] فإلى جانب هذا اشتهر التوارق بمقاومة استعمار الفرنسي الأوربي للصحراء الكبرى موطن آبائهم عبر العصور، طيلة القرن 19 م، وواجهوا بعنف كل المغامرين والمخبرين الذين حاولوا التغلغل في بلادهم الصحراوية الواسعة[2] فمن أولى المعارك الكبرى التي خاضها توارق الهقار ضد المستعمر الدخيل تأتي معركة "وادي أهاون"التي جرت في 1881 قرب تين تراين (ناحية تمنراست) حيث مات فيها الضابط الفرنسي برتبة عقيد وقد حدثت في عهد الأمينوكال "أهيث آغل آق محمد سكة" الذي تمنى من الله ألا يرى وجهة المستعمر الفرنسي فتوفى قبل أن يدخل هؤلاء الغاضبون الهقار[3] جاء بعده الأمينوكال (موسى آق مستان* الذي عاصر الغزو الفرنسي ووقعت في عهده معارك وقد خلقت فيها فرنسا الكثير من قتالها، ففي المعركة التي وقعت بمنطقة (تيت) عام 1902، قضى التوارق على القوات الفرنسية مع قائدها "كوتنيس" Cotnise واستشهد فيها حوالي 71 تارقي، وهنا اضطرت فرنسا وخاصة الأمينوكال "موسى آق متان" في هذه المرحلة قد دخل في صراع على منصب الزعامة منذ وفاة "آهيت آغل" آخر امنوكال فعلي الكوندرالية الهقار، وقد دعمته فرنسا لأخذ موقع على رأس التوارق نظر الموقفه لفرنسا، وقد وقع معاهدة صداقة مع الفرنسيين سنة 1904 في عين صالح إلا أنها لم تدم طويلا، فاندلعت معارك جديدة

[1]- P.Vuillant, Op-Cit, P114.

[2] -يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، مرجع سابق، ص265.

[3] -عبد السلام بوشارب، نفس المرجع السابق، ص101.

* ينظر الملحق الصور، ملحق رقم 05.

هي معركة وادي تهراف في 1916 وقد استشهد فيها 4 توارق بعد أن قضى الثائرون على كل قوات العدو[1].

لقد حاولت فرنسا جاهدة كسب التوارق إليها وتقرب منهم ولعل أبرز ما قام به الراهب ميشال ديفوكو خير دليل على ذلك، كما حاول ربط التوارق بنظام سياسي فرنسي[2]، كما عرفت منطقة التاسيلي "جانت" عدة معارك استطاع التوارق من خلالها قتل قائد الحملة الفرنسية الملازم الأول فلاترس بالقرب من برج عمر ادريس بقيادة الشيخ آمود 1881 والمعروفة بمعركة بئر الغرالمة كما شارك في معركة تيت 1902 بالإضافة للعديد من المعارك الأخرى التي شنها سكان التوارق على الفرنسيين[3]نذكر منها:

معركة جانت التي وقعت عقب دخول عين صالح واحتلال المناطق المحيطة بها مع مطلع القرن 20م سنة 1909.

معركة تمنراست سنة 1904.[4]

معركة إليزي سنة 1908، وفي السنة الموالية اقتحمت جانيت من طرف التوارق وظلت خاضعة لهم إلى سنة 1911 بسبب انشغال الفرنسي بالحرب الدائرة في ليبيا بين التونسيين والإيطاليين.

فلقد اعتمد شيخ أمود في معركة على أسلوب الكر والفرو وتجنب الدخول في مواجهات مباشرة مع العدو، بعد فشل فرنسا في القضاء على ثورة الشيخ آمود عسكريا فلم يبق أمامها سوى

---

[1]- René Bazin, Op-Cit, P315.

[2] -احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص 71.

[3] -يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات، المرجع السابق، ص83.

[4] --بشير بلاح، تاريخ الجزائر، 1830-1989، المرجع السابق، ص208.

انتهاج الأسلوب السياسي الدبلوماسي فأرسلت فرنسا بعض الشخصيات ذات النفوذ المعنوي الروحي من ورقلة وعين صالح والمنيعة وتقرت إلى مناطق الهقار والطاسيلي قصد التفاوض مع زعمائها لإلقاء السلاح والاعتراف بالوجود الفرنسي مقابل الكثير من الامتيازات، رفض الشيخ آمود هذه الإغراءات وفضل المنفى إلى غاية أن توفي بمنطقة العريفة الليبية سنة 1928 وإلى غاية 1914 تكون فرنسا قد مدت نفوذها إلى هذه المنطقة وذلك بعد جهود كبيرة.[1]

المبحث الثاني: النتائج الاقتصادية التجارية:

بعد أن استفادت فرنسا من المعلومات التي سعت من خلالها إلى إرسال البعثات الاستكشافية في الوقت الذي كانت فيه جادة نحو الغزو والتوسع ومن أجل السيطرة على النشاط التجاري[2] في الصحراء وتسهيل عملية التنقل وإعطاء الحرية لقوافلها العابرة لصحراء نحو سودان فقد أولو اهتمامهم بفكرة إنشاء شبكة المواصلات الأمر الذي يمثل العنصر الأساسي والفعال من أجل ربط مستعمراتهم في الشمال بالجنوب لخدمة التجار الفرنسة[3] ومن أهم المشاريع،منها مشروع السكة الحديدية.

1-مشروع السكة الحديدية: يعتبر مشروع الخط الحديد العابر للصحراء من المشاريع الضخمة ذات فوائد عديدة بالنسبة لمصالح الاستعمارية، فسعت فرنسا جاهدة لإقامة طرق وسائل اتصال سريعة من أجل استجابة لحاجيات المستعمرة المدنية والعسكرية ففكرت في ربط الجزائر بإفريقيا عن طريق السكة الحديدية لأنها تمثل الوسائل والإمكانيات الفعالة للتوسع الاستعماري، حيث

[1] -عبد السلام، بوشارب، المرجع السابق، ص 112.

[2] -يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، دار الطباعة، الجزائر، 2000، ص78.

[3] - أحميدة عميراوي ، السياسة الفرنسية...، المرجع السابق، ص78.

انطلقت الانجازات في مخطوط من الجزائر نحو الصحراء ابتداءا من 1844 بمد شبكة ذات طابع محلي مثلا فكرة "كاباني" الذي اقترح مخطط حديدي بمد من الجزائر نحو بوسعادة وورقلة[1] الذي تفرع إلى فرعين: فالأول نحو تونس وطرابلس والثاني نحو عين صالح الهقار[2] ثم تأخرت هذه الأشغال حتى 1853 نظرا لظروف الدولية التي عرفتها فرنسا آنذاك في مشاركتها في حرب القرم[3] إلى جانب الدولة العثمانية حالة دون تنفيذ ذلك ومع مطلع 1856 برز المهندس أودولف دوفشيل Adolf Dovechif الذي رأى أي ضرورة ربط المستعمرات الفرنسية ببعضها البعض بشبكة الخطوط الحديدية وفي عام 1857 تقرر إنشاء أكثر من ألف وأربع مئة كيلو متر من خطوط الحديدية يتضمن خط يمر من الشرق إلى الغرب على امتداد الشريط الساحلي وهو بمثابة العمود الفقري للخطوط الفرعية، التي تمتد نحو الهضاب لتربط المناطق بالموانئ، وقد تم إنجاز هذا المشروع تدريجيا وبحيث أنه يحتوي على منعطفات إلى تليلات نحو بلعباس وتلمسان وخطوط من قسنطينة، سكيكدة، بجاية قالمة، ثم توسعت لتشمل المناطق الصحراوية[4].

هذا وتوجد عدة طرق أخرى منتشرة في أقصى الصحراء خاصة العابرة نحو صحراء ليبيا ومصر خلال القرن 19 فقد تفرعت إلى ثلاث خطوط منها الخط الشرقي عبر غدامس وهو الطريق الطبيعي لحوض التشاد أما خط الوسط من ورقلة وأمقيد نحو مرفق النيجر أو نحو بحيرة التشاد ويتضمن الخط الغربي عبر توات فهو الطريق الطبيعي نحو تومبكتو أو بالأحرى السبيل إلى مرفق نهر

[1] -إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص438.

[2] - أحميدة عميراوي ، المرجع نفسه، ص79.

[3] -إبراهيم مياسي، مقاربات في تاريخ الجزائر، ص36.

[4] -إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص439.

النيجر، ذلك في الخط الشرقي عبر غدامس وغات يطرح مشاكل مع جيران الاستعمار الفرنسي بالجزائر وكمله أفضلية هو أنه أقل مسافة من الخطوط الأخرى.[1]

لا شك أن هذا التوغل نحو الجنوب عند التوارق يقلل الضغوطات المتزايدة على الدوائر الاستعمارية الفرنسية في الجزائر من طرف السلطات المغربية من جهة والسلطات الطرابلسية من جهة أخرى حتى تضمن قاعدة واسعة لعمليات العبور للصحراء، ومن أسبابها لإنشاء هذه الطرق منها:[2]

1.تسهيل عملية تنقل القوافل العسكرية وللتمكن من القضاء على بؤر التوتر المقاومة الجزائرية في الجنوب.

2.ربط المراكز الاستعمارية ببعضها البعض على مستوى محلي ودولي ومستعمراتها الإفريقية على مستوى القاري.[3]

3.تنشيط الاقتصاد الفرنسي والعمل على إزدهاره خاصة قطاع الخدمات، من خلال استغلال الثروات الطبيعية الظاهرية والباطنية التي تزخر بها الصحراء الجزائرية.

4.الحد من تجارة القوافل المغربية والطرابلسية العابرة للصحراء الإفريقية المحملة بكل أنواع الزينة كالعطور والروائح والمنسوجات الصحراوية وبعض المعادن الثمينة كالفضة والذهب والنحاس.[4]

وللعلم فإن الصحراء الإفريقية كانت غنية بطرقها أو أسواقها التجارية قبل الاحتلال الفرنسي ومن بينها كطريق باتجاه تومبوكنو، كطريق باتجاه مكناس ومراكش وطريق إلى الجزائر العاصمة.

[1] -إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص443.

[2] -أحميدة عميراوي، المرجع السابق، ص78.

[3] -يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر.... المرجع السابق،، ص75-77.

[4] -إبراهيم مياسي، مقاربات في تاريخ الجزائر، المرجع نفسه، ص42.

وبالنسبة لمد شبكة سكك نحو الصحراء، فقد بدأت في 1878 وظهرت في الأفق مشاريع منها المشروع الضخم للمهندس ديبوشيل Dupouchel حول تشييد سكة النقل عابرة للصحراء، وهو ما فتح المجال للمئات من المشاريع المماثلة إذا تضاعفت في فرنسا المحاضرات المرشحة في دعم هذا المشروع حتى رغبت فرنسا في توحيد الجزائر بالسودان عبر هذه الوسيلة وكذا تصريف المنتجات عبر الصحراء الكبرى بها، وقد شكلت الحكومة آنذاك لجنة خاصة بالمشروع اللجنة العليا للنقل العابر للصحراء تحت وصاية وزير الأشغال العمومية "فريسيني" وذلك بموجب مرسوم تاريخ 1879/07/19 مهمتها دراسة المسائل المتعلقة بربط السكة الحديدية الجزائرية بالسودان[1] عبر الداخل الإفريقي.

وإثر بحث عمل هذه اللجنة بدأت التقارير والخرائط الجغرافية والتضاريسية عن المناطق الصحراوية تصل إلى أيدي الإدارة الجزائرية والحكومة في فرنسا، ولكن هذه المرة كانت بفعل زيارات الميدانية واستطلاعات الجارية بالصحراء ومن خلال استكمال المخابرات المحلية، فقد قدم في سنة 1880 المهندس أبويان وهو مهندس المناجم تقريرا جمع فيه كماً هائلاً من المعلومات وقد حدد في الخريطة له منطقة "توات" رسمت الخطوط العريضة للمنطقة الشاسعة الممتدة من توات حتى منطقة النيجر، فكان يستفيد منها القادة العسكريون أمثال كورين Corine وغورول Gorole[2].

كما قررت اللجنة تكليف العقيد فلاترس بمهمة علمية جيولوجية خاصة بشق الصحراء التي تمتد طموحها إلى ما وراء الحدود التي أدركها الاحتلال الفرنسي، ولتحقيق لهذا الغرض فإن سكة

[1]- M.De La Martinere & la croix, op-cit, t 3, p56.

[2]- Canielle Salotier Tout, Sahara & soudan, étude géographie politique et militaire, société d'editions scentifique, paris, 1891, p3.

الحديدية في الصحراء تتطلب توسيع التوغل العسكري نحو الجنوب بشتى الطرق والوسائل الممكنة[1] لكن رغم بعض المحاولات يبقى هذا المشروع يراوح تفكير بعض المسؤولين الذين كانوا يرون أن سكك النقل الحديدية هي التي تفي بالغرض في روح الجيش الكفيلة بتمويل مؤونة العيش وتسهل الحركة وهي روح التجارة وعصبها فلجأوا إلى وضع نواة لثلاث خطوط حديدية إلى الصحراء تفرعت كلها من خط عرض الدولي الرئيسي الذي يخترق الشمال الإفريقي من مدينة تونس إلى الدار البيضاء غربا على سواحل المحيط الأطلسي وهي: الخط الأول يمتد من قسنطينة إلى ورقلة عبر بسكرة أما الخط الثاني يمتد من البليدة الجلفة عبر المدية إضافة إلى خط الثالث الذي يمتد من المحمدية إلى بني عباس عبر سعيدة وبشار.[2]

لقد واجه الفرنسيون صعوبات كثيرة في غرو جنوب الجزائر والصحراء بسبب صلابة مقاومة السكان من جهة وقساوة الطبيعة المتمثلة في شدة الحرارة والجفاف وتباعد المراكز العمرانية عن بعضها البعض من جهة أخرى ومنها، طبيعة الصحراء التي تتميز بخصائص جعلتها تنفرد عن بقية الصحاري في العالم وأيضا تكليف الخزينة الفرنسية مئات الملايين وصعوبة التوفيق بين تكاليف الإنجاز والفوائد التي تتحصل عليها بإضافة إلى الظروف الدولية التي كانت تمر بها فرنسا بسبب المنافسة الانجليزية في القارة الإفريقية والأسيوية والأزمة الاقتصادية التي مرت بها مما أدى بتخوف رجال الأعمال والمستثمرين من المغامرة بأموالهم في سبيل انجاز هذه المشاريع رغم وجود العديد من التحفيزات

[1] Pére Constantu, Alger Et Toibuktu (Etude Sur Le Commerce Et Tramssa Hairien) Challamel Aimé Editeur, Paris 1885, pp3-4.

[2] – احميدة عميراوي ، المرجع السابق، ص80.

والإغراءات وهو ما جعلهم يبحثون عن بديل آخر للاستثمار في الجزائر فكانت منطقة الشمال المجال لتحقيق طموحاتهم واستنـــزاف خيراتهم.[1]

2.مسالك وطرق القوافل الصحراوية والأسواق:

اهتم الفرنسيون اهتماما كبيرا بالصحراء للتعرف على خباياها ومعرفة طرق ومسالك تجاريـــة الصحراوية المؤدية إلى السودان وذلك لأجل الإستحواذ على النشاط التجـــاري الواســـع المزدهـــر ولتسهيل عمليات تنقل قوافلهم وقواتهم الغازية.[2]

والتي تنوعت وانتشرت بشكل واسع ومنها:

أولا:طريق مراكش إلى تومبوكتو: يمر على تارودانت، تاوريرت تندوف ويخترق رمال إيجلي وعرق الشاش ويتجه إلى تاوديني، كما يخترق الجوق شرقا ليتجه إلى تمبوكتو وقد سلكه أوسكار عام 1880.[3]

ثانيا: طريق فاس ومكناس إلى تومبكتو يمر بقصبة المخزن، ويتبع حوض واد قير إلى أغلـــى تم حوض الساورة إلى توات، تمبوكتو، وهناك طريق آخر يخرج من مراكش لتصل بهذا الطريق في توات ويمر على ممسينة والميستر والمعسف وتمنطيط إلى أقابلي وبئر تيريشومين.[4]

ثالثا: طريق وهران وارزيو إلى تومبوكتو: يمر على خيثر ومشرية وعين الصفراء وفقيق ويتبـــع مجرى واد زوزفانة إلى إيغلي أين يلتقي بطريق فاس، تومبكتو وهناك طريق آخر إلى شـــرق الـــبلاد

[1] -إبراهيم مياسي، مقاربات .....، مرجع السابق، ص33.

[2] -يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص112.

[3] -إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي....، المرجع السابق، ص35.

[4] -إبراهيم مياسي، مقاربات ب تاريخ....، المرجع نفسه، ص35.

مستقيم، يبدأ من خيثر إلى البيض، والأبيض سيد الشيخ والمنقب، وتوات أين يلتقي بطرق وهـــران، فاس ومكناس، إلى تومبوكتو.

رابعا: طريق مدينة الجزائر إلى تومبكتو، يمر على البليدة وبوغار، الأغواط وغرداية ومنيعة وعين صالح، وآقابلي أين يلتقي بطريق توات، تومبكتو ....[1]

خامسا: طريق سكيكدة وقسنطينة إلى آمقيد إلى مبروك وتومبكتو: ويمر على باتنة وبسكرة وتقرت وورقلة والبيض وآمقيد إلى مبروك، ولهذا الطريق فرع يبدأ من جنوب بسكرة ويتوجه إلى واد سوف ومنها إلى غدامس وغات وحيادوا فرع من البيوض إلى عين صالح وفرع ثالث إلى غات.

سادسا: طريق طرابلس إلى تمبوكتو: ويمر على سناون وغدامس وتيماسين والبيض أين يتصل بطريق قسنطينة إلى تمبوكتو ولهذا الطريق فرع من غدامس إلى غاث وبئر عيسو وأقاديس ثم إلى سوكوتو وكاتسنا غربا وإلى أقاديم وماو شرقا.

-هذا وتوجد عدة طرق أخرى منتشرة في أقصى الصحراء الشرقية خاصة عبر صحراء ليبيا ومصر، وكطريق طرابلس إلى مرزاق وجغيوب وبنغازي إلى الوادي وطريق أسيوط إلى دارفور بالسودان وغيرها.[2]

-وأما الأسواق التجارية التي تتجه إليها هذه الطرق في أعماق الصحراء تتجمع في ثلاث مناطق رئيسية منها:

[1] -أحميدة عميراوي، المرجع السابق، ص 84.

[2] -إبراهيم مياسي، مقاربات في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص37.

أ-السودان الغربي: ومن أهم أسواقه، تومبكتو التي كانت لها أهمية خاصة خلال العصر الوسيط تجاريا وثقافيا وفي أقصى الجنوب قورارة وتوات وعين صالح بإقليم تيديلكت في الشمال وبين سوق تمبوكتو وأسواق توات وتيديلكت على طول الطرق توجد أسواق أروان ومبروك وايفراون وأكايلي.

ب-تشاد والسودان أوسط: ومنها سوق سوكوتو، فاندوا، كاتسن، أسواق واحات كفرة ليبيا.

ج-أسواق السودان الشرقي: منها أسواق دارفور، كوردوفان والفوجة الأوبيد وسنار وخرطوم وواردي حلفا.[1]

وتستغرق هذه القوافل في ذهابها وإيابها شهورا عديدة، على سبيل الميثال: قافلة قسنطينة إلى توات تستغرق 36 يوم وقافلة تلمسان إلى عين صالح تستغرق 32 يوما، حيث تبدأ هذه القوافل رحلتها في مطلع فصل الشتاء حيث الحرارة والطقس ملائمان في الصحراء إلا أنه تواجهها بعض الصعوبات على رأسها دفع الضرائب المرور وغيرها.

وتكون هذه القوافل محملة ببضائع موجهة إلى الصحراء ومنها الأقمشة المحتملة من كل جنس ونوع (إفريقي أوربي) تكون صوفية وقطنية وحريرية وكتانية ومن أشهرها الشاش، بالإضافة إلى الروائح العطرية بها الأدوية العشبية ومواد الصياغة والعطور، كما نجد الكتب المخطوطة والمنسوخة والورق الأقلام وذلك بسبب إزدهار الثقافة العربية الإسلامية واهتمام العلماء بتدريس العلوم

[1] -يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص117.

الإسلامية في مختلف المراكز العمرانية الصحراوية وعلى رأسها تمبوكتو وتوات وورقلة، أيضا الأسلحة المختلفة للدفاع والهجوم لتسليح القوات المحلية، كالدرع والخوذة والخناجر والسهام والأقواس والبنادق...[1]

3-معاهدة غدامس بين الفرنسيين والشيخ ايخنوخن 1862:

لم يخف الفرنسيون رغبتهم في فتح أسواق الصحراء التجارة الفرنسية، و لم يفتأوا في السعي لتحقيق ذلك بمختلف الوسائل، فاستدعوا زعيم التوارق الديني الشيخ عثمان لزيارة الجزائر العاصمة، وقسنطينة، خلال حكم الماريشال راندون، ثم دعوه مرة أخرى في عهد الماريشال الدوق دومالاكوف بيلسي Pelissier لزيارة الجزائر العاصمة ومدينة باريس بصحبة إثنين من أفراد العائلة، وأثروا فيه فقبل الشيخ أيخنوخن إبرام اتفاقية يوم 26 نوفمبر 1862[2] من وفد المتألف من الحاج جابور رئيس قبيلة أمانغازتن ومرابط تماسين وعمار الحاج، أخ ايخنوخن ونائبا عنه ومن البعثة الفرنسية التي توجهت إلى هناك بزعامة الضابط ميرشير Mircher والضابط بولياك Polignac والمهندس فاتون Vatonne وقد أمضى هذه الاتفاقية* كل من الشيخ ايخنوخن عن قبائل أرفور وميرشال عن الأمبراطورية الفرنسية ومن أهم بنودها:[3]

[1] -يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية...، المرجع السابق، ص116-117.

2 -إبراهيم مياسي، مقاربات في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص41.

* -أنظر ملحق الوثائق، ملحق رقم 02.

[3] -إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي...، المرجع السابق، ص415.

1.إقرار الصداقة والتبادل المشترك لحسن النوايا بين السلطات الفرنسية ومختلف فروع قبائل التوارق.[1]

2.يمكن للتوارق أن يمارسوا تجارتهم بكل حرية لبضائعهم وبضائع السودان داخل الأسواق بالجزائر، دون أي شرط ما عدا أداء الصكوك العادية.[2]

3.يلتزم التوارق بتسهيل وحماية التجار المفاوضين الفرنسيين والآهالي الجزائريين المارين عبر مواطنهم وإلى بلاد السودان ذهابا وإيابا، وكذلك حماية بضائعهم التجارية، على أن يدفعوا حقوق الرسوم.[3]

4.تلتزم السلطات الفرنسية وزعماء التوارق بفتح طرق التجارة للفرنسيين إلى السودان وإصلاحها وتحديدها، وإصلاح الآبار وإزالة كل العراقيل في وجه نشاط التجار الفرنسيين.

5.تسوية الخلافات التي تنشب بين الطرفين بالود والانصاف من قبل الشيخ أو ممثليه بمقتضى العادات المعروفة في البلد.[4]

6.يلتزم الشيخ أيخنوخن والزعماء السياسيون الآخرون لتوارق أرفون، بربط علاقات جيدة مع توارق قبيلة كلوى وتهيئة الظروف الحسنة للمفاوضين الفرنسيين لكي يمروا بسلام بقوافلهم عبر البلاد الآير.

[1] -إبراهيم مياسي، مقاربات مع تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص42.

[2] -يحي بوعزيز، ملتقيات دولية...، المرجع السابق، ص124.

[3] -إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي في الصحراء، المرجع نفسه، ص416.

[4] -إبراهيم العيد بشي، المرجع السابق، ص162.

إن سياسة التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري كانت نقمة وكارثة حقيقية على الاقتصاد الصحراوي الجزائري الإفريقي وذلك من خلال استنزاف الثروات الباطنية[1] لأن المستعمرين أخذوا على عاتقهم مهام التنقيب عن المياه عن طريق حفر الآبار الارتوازية في العديد من المناطق الصحراوية كمنطقة وادي ريغ والزيبان التي ارتفعت بها كمية المياه المستخرجة من 53000 لتر في الدقيقة الواحدة عام 1856 إلى 200.000 لتر سنة 1890 وكل هذه المياه استخرجت من حيز جغرافي ضيق جدا لا يكاد يساوي 10% لمضخات مائية الباطنية.[2]

المبحث الثالث: النتائج الاجتماعية: عرف المجتمع الصحراوي مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فترة جد صعبة أثرت على حالته الاجتماعية على مختلف الأصعدة.

1-المجتمع الصحراوي:

تجلت الحياة الاجتماعية للفرد الصحراوي في كثير من كتابات الرحالة الفرنسيين سواء منهم الانثروبولوجيون[3] والمؤرخون فقبل الحديث عن الآثار السلبية التي مست المجتمع الجزائري في الجنوب، نود الإشارة فقط إلى طبيعة هذا المجتمع الذي هو آخر يشكل لنا قطعة فسيفسائية رائعة جدا، ويتجلى ذلك من خلال عديد التشكيلات الاجتماعية التي تشكل منها[4]، ومن تنوع مصادره الثقافية والدينية العريق جدا، المتمثلة في تلك الجوانب التي تشكل ثقافة المجتمع المسيطرة في أي بلد أو منطقة جغرافية

[1] -اندري نوشي وآخرون، المرجع السابق، ص401.

[2] -جمال قنان، نصوص سياسة جزائرية في القرن التاسع عشر، 1830-1914م ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993،ص150.

[3]- Clanageran.j.j impression de voyage 17 mars 4 juin 1873,paris, libraire germer baillers, 1874, p175.

[4] -أحميدة عميراوي، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، 1844، 1916، المرجع السابق، ص144.

محدودة[1]، وفي عمومه عبارة عن قبائل كثيرة منتشرة عبر أقاليم المناطق الصحراوية وهما نوعان سكان القصور يعتمدون على الزراعة والتجارة، سكان البدو والرحل يعتمدون على الرعي وتربية المواشي.

هذه القبائل لها نسيج اجتماعي راق جدا يبدأ من شيخ القبيلة وينتهي بأخر فرد في القبيلة والشيء الملفت للانتباه هو سيطرة الطابع الروحي على هذا المجتمع الذي تعددت انتماءات أفراده الروحية إلى الطرق الصوفية والزوايا التي كانت منتشرة هناك.[2]

هذه التركيبة المتماسكة لمجتمع الجنوب لم تكن في صالح عملية التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري بل ساهمت إلى حد بعيد في تأخير هذه العمليات عشرات السنين، وأمام هذا التماسك والتضامن الجزائري، اتبعت فرنسا أثناء عملية توسعها أساليب متعددة فنشير هنا إلى ما ترتب عنه فيما يلي:

1-تفتيت المجتمع الجزائري إلى ثلاثة أقسام، قسم أعلن صراحة عن موالاته وقسم أعلن مقاومته لها، وقسم هو قليل جدا ركن إلى الحياد، ولقد ساهم القسم الأول بطريقة غير مباشرة في ترسيخ الوجود الفرنسي بالتراب الجزائري، لكن للأسف الشديد بعد أن تمكنت فرنسا من فرض وجودها تخلت عن هذه الفئة[3].

2-إثارة النزاع والشقاق بين الأسر الكبيرة كذلك النزاع الذي كان قائما بين عائلة بوعكاز ابن قانة في منطقة بسكرة والأوراس، وما حدث في جنوب وهران عند عائلة أولاد سيدي

[1] -عاشور سرقمة، تاريخ الثقافة والحياد الاجتماعية في الصحراء الكبرى، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 15، الجزائر، 2011، ص191.

[2] -احميدة عميراوي، المرجع نفسه، ص144.

3 -أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 1،المرجع السابق، ص346.

الشيخ، فإن هذا النزاع ساهم بشكل مباشر في تمزيق روابط هذ الأسرة والتمكين للاستعمار الفرنسي بالجنوب الجزائري.[1]

وليت البعض من هذه العائلات توقفت عند هذا الحد بل نجد بعضها الآخر عارض أصلا فكرة الجهاد في سبيل تحرير البلاد وهذا الصنف سبق الحديث عنه ضمن ما عرف بمعادلة فرنسا الرامية إلى إبطال فريضة الجهاد وإضافة إلى تلك الشخصيات التي عارضت فكرة الجهاد تظهر لنا شخصية معجنة هي محمد بلقاسم الحملاوي رئيس إخوان الطريقة الرحمانية الذي اتخذ موقف عدائيا من ثورة الشيخ بوعمامة.

3-النفي والإبعاد الذي استهدف الكثير من الزعماء المقاومة في الجنوب الجزائري وهذه النتيجة الحتمية في نظر الفرنسيين تأتي عقب كل ثورة أو انتفاضة شعبية والغاية منها الزجر والردع لاحتواء حركة المقاومة ونكتفي هنا بالإشارة إلى أحد نماذج النفي والإبعاد الذي استهدفت أحد الشيوخ الزوايا وبعض مقدميه من أولاد عبدي بدائرة باتنة العسكرية والوادي ذكرهم على النحو الآتي: سي الهاشمي بن سي علي بن دردور، وعمر بن يوسفّ، ومحمد امزيتان بن نارة، وبوبكر بن خالد.[2]

لم تكن عمليات الإبادة* والتخريب قاصرة على المناطق الشمالية امتدت إلى المناطق الجنوبية وإلى واحات الصحراء مثل ما حدث في واحة الزعاطشة سنة 1849، وها هو العقيد "بان" pein

1 -احمدة عميراوي، المرجع السابق، ص146.

2 -عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر، 1830-1900، المرجع السابق، ص186.

* أنظر ملحق الوثائق، ملحق رقم03.

يكرر نفس المشهد في مدينة الأغوط سنة 1852، يحدثنا بنفسه فيقول: "لقد كانت مذبحة شنيعة حقا، كانت المساكن والخيام التي في ساحة المدينة والشوارع والأزقة والميادين كانت كلها تغص بالجثث، إن الإحصائيات التي أقيمت بعد الاستلاء على المدينة وحسب المعلومات استبقاه من مصادر موثوقة، أكدت عدد القتلى من النساء وأطفال 2300 قتيل أما عدد الجرحى فلا يكاد يذكر بسبب بسيط هو أن جنودنا كانوا يهاجمون المنازل ويقتلون كل من وجدوه بلا شفقة ولا رحمة".[1]

4-تدهور وضعية السكان المعيشية بشكل رهيب وعليه فالمناطق الجنوبية أصبحت تحت وطأة الفقر والمجاعة والأمراض والأوبئة الفتاكة، بعد ما صدرت منهم كل ممتلكاتهم وتعرضهم لمختلف وسائل الاستعمار الفرنسي البشعة.

الأمر الذي أدى إلى تناقص عدد من السكان ولقد سجل "سباقي" وهو أحد المختصين في - شؤون المناطق الجنوبية هذا التناقص على سكان وواحات قورارة وتوات الذين كانوا في حدود أربع مائة ألف نسمة عند منتصف الثمانينات من القرن 19م ليصبح حسب تعداد سنة 1906 لا يتجاوز الستين ألف نسمة ومعظمهم لا يجدون ما يسد به رمقه.

كما يسجل لنا آندري نوشي بشأن هذا التراجع الذي استهدف سكان بعض الواحات الواقعة في الجنوب الغربي فيها يلي: "..انخفض عدد سكان توات وفورارة وساورة وأندثر منهم 4000 ساكن على 8700 من سنة 1906 إلى سنة 1921" فقد استغل الكاردينال لافيجري المجاعة التي عصفت بالشعب سنتي 1867-1868 التي أدت إلى موت مئات الآلاف من الفلاحين بسبب إفراغ

[1] -آندري نوشي، الجزائريين بين الماضي والحاضر، المرجع السابق،ص 406.

مطاميرها من الحبوب ونهبها وتخريبها عن مجيئ الجفاف لم يجد الفلاحون في مخزونهم ما يواجهون به الجفاف والفلاحون عادة ما يحتفظون بمطاميرهم بالنسبة إضافية على الأقل.[1]

2-الهجرة:

منذ القديم ظل الإنسان الجزائري في الجنوب الكبير متمسكا بالأرض رغم الظروف الطبيعية القاسية، ولكن مع امتداد التوسع الفرنسي نحو لجنوب وممارسته لابشع وسائل القمع الاضطهاد والقتل الجماعي وجد هذا الإنسان مخيرا بين الاستسلام للفرنسيين، والاعتراف بالأمر الواقع وذلك عن طريق العديد من المعاهدات والاتفاقيات والهجرة خارج التراب الوطني بعد أن ضاقت سبل العيش وللعلم هذا الخيار لم يكن إراديا وبالتالي فهذه الهجرة هي هجرة غير إرادية فتارة تكون جماعية وتارة أخرى فردية، نذكر بعض العينات منها فقط.

ففي الجنوب الشرقي الجزائري تسجل هجرة فرقة ابنو صالح والنمامشة وسيدي يحي بوطالب، والربايع....إلخ نحو تونس ومن الوسط تسجيل أسرة بوعكاز وابن إسحاق والمكي بن عزوز، من الجنوب الغربي الجزائري تسجيل الأسر التابعة لقبائل التخوم الصحراوية من بينها: بنو جيل وأولاد جرير.

-وخلاصة القول فإن هذه النتائج المختصرة ساهمت إلى حد بعيد في مد التوسع الفرنسي ليس نحو الجنوب الجزائري فحسب بل طال دول الجوار كتونس في سنة 1881 والمغرب الأقصى في سنة 1912

[1] -جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر،المرجع السابق.ص65.

وبقية الدول الإفريقية، وبذلك يكون التوسع الفرنسي قد تمكن من بسط سيطرته مستغلا لثرواتها الطبيعية والاقتصادية والبشرية إلى غاية نصف الثاني من القرن 20م[1].

[1] -احميدة عمراوي، المرجع السابق، ص149-150.

خاتمة

خـــاتـــمـــة:

نستنتج من خلال هذه الدراسة حول موضوع "البعثات الاستكشافية ودورها في التوسع الفرنسي في الصحراء خلال القرن 19م، "فمسألة الصحراء الجزائرية تعد أحد أكثر القضايا الشائكة من خلال معلومات ودراسة مدى تطور الأحداث حول دور البعثات الاستكشافية التي كانت قبل الاستعمار الفرنسي للجزائر سنة 1830م، لأجل ربط شمالها بجنوبها باعتبار أن للصحراء ثروات تزخر بها:

1-تعتبر الصحراء الجزائرية من أهم المناطق في العالم، سواء على الصعيد الجغرافي أو على الصعيد الاقتصادي، وهذا ما يفسر التنافس الاستعماري الشديد حولها، مما يبقيها تحت أنظار أطماع القوى الكبرى إلى غاية يومنا هذا.

2-اكتشاف ثروات الصحراء أولى للفرنسيين وخاصة المستكشفون أهمية كبيرة لاكتشافها باعتبارها جسرا تجاريا يربط بين عدد من الحواضر والمدن الإفريقية ذات الأهمية الاقتصادية وهذا ما يفسر النزعة الاستعمارية لدى دول الكبرى التي تقوم على أساس اقتصادي بحت، فإلى حد الآن ما تزال الثروات مصدرا للنزاعات بين الكثير من الأطراف في العالم، فالقاعدة التي تسير عليها معظم الدول هي: "من يملك الاقتصاد يملك القوة".

3-من خلال ما تقدم ذكره حول البعثات الاستكشافية والتوسع الفرنسي على حساب الأراضي الجزائرية الصحراوية فإننا نجد المخططات التي وضعتها قد تنوعت وشملت مجالات عديدة بهدف إحكام قبضتها على المنطقة وبأي طريقة، فالصحراء كانت بالنسبة لفرنسا العالم الجديد

والمكان الأنسب لبناء إمبراطوريتها القوية، بعد أن عثرت على ثروات هائلة، ضمنت مستقبلها الاقتصادي, فانطلقت في بناء قاعدتها العسكرية. لكن لم يبق سكان الجنوب مكتوفي الأيدي بحيث واجهوا هذه المخططات بمختلف الطرق كالمواجهة وانتهاج سياسة المناورات علها أن تجد منفذا تحسم من خلاله ما تريده، ومع تلك المناورات التي لم تجد نفعا في ظل تنامي قوة القبائل الصحراوية على أراضيها.

4-ولعل من أبرز المستكشفين الذين ساعدوا فرنسا على احتلال الجنوب مع اختلاف جنسياتهم منهم من جاء في زي مختلف عن زيه الأصلي ومنهم من جاء بصفته طبيب وتاجر ومهندس ومنهم من تظاهر أنه مسلم تاجر ولكن الأغرب أن هناك من جاء بزيه الإنجليزي و لم يخف من خشونة سكان الجنوب كدوفييري ومنهم من جاء بصفته رجل الدين وذلك في إطار المساعدة وتقديم يد العون كديفوكو.

5-التزايد الملحوظ في الاهتمام بالصحراء الجزائرية المتمثل في النفقات على المشاريع الاقتصادية والاجتماعية بالصحراء واستخدام مختلف وسائل الترغيب والترهيب ضد السكان.

6-عدم تكافؤ بين الجيش الفرنسي والثوار من ناحية السلاح والذخيرة وانعدام مصادرها، حيث عمل الفرنسيون على محاصرة وخنق المقاومة، فقد كانوا يحصلون في كل مرة على الدعم البشري والمادي من مختلف المراكز العسكرية وخاصة الناحية الغربية كالبيض.

7-فقد وجدت فرنسا الفرصة لاحتلال باقي المناطق كميزاب وعين صالح وبهذا أصبحت فرنسا تراقب عن كثب ما يجري وبالأخص ما يدخل إليها أو يخرج منها، ما أدى إلى غلق أسواق

التموين بالجنوب، وإلى ضعف المقاومة الشعبية فكانت 15 سنة كافية لاستكمال احتلال كل شمالها ووصولها إلى غاية "التوات" في الجنوب الغربي ثم إلى غاية "الهقار" في الجنوب الشرقي.

8-وضع شبكة من طرق المواصلات الحديدية والمعبدة وأسلاك الهاتف للربط بين المناطق المتباعدة والتي أعطت للمشاريع الاقتصادية بعدها الاقتصادي العالمي وكذا من أجل التعرف على شبكة الطرق الصحراوية التي وضع لها المستكشفون الفرنسيون رسومات وخرائط مهدت مهمة الاستعمار وكذلك من أجل تسهيل التنقل في ظروف آمنة للقوافلها التجارية العابرة إلى تمبوكتو ومنها إلى السودان.

9-و أما من الناحية الاجتماعية أدت إلى تفكيك الطبقي للمجتمع الصحراوي بالإضافة إلى المجاعة التي عصفت بالجزائر مع نهاية العشرية السادسة من القرن 19م شجعته على امتلاك الأراضي من الأهالي وتحويلها إلى الزراعة اقتصادية مما سمح للكاردينال لافيجري من تأسيس مؤسسات تنصيرية بهدف تنصير وتمسيح سكان الجنوب خلال 1868م وكان على عاتق هذه المؤسسة إنجاح مهمة إرسالية بالصحراء الجزائرية والسودان الغربي، ولكن المهمة الأولى منيت بخيبة الأمل وذلك بعد مقتل قافلة من الرهبان المنصرين بالجنوب الجزائري 1881م.

10-فنظرا للظروف الصحراوية القاسية وصعوبة التأقلم بها ثم تشدد السكان وتمسكهم بدينهم جعل مردود هذه البعثات ضعيفا فلم تؤسس إلا ثلاث محطات منها : (ميزاب، قولية، ورقلة) في حين أن المحطات الأخرى بقيت معابر فقط (الأبيض سيدي الشيخ، بسكرة، بني عباس).حيث بقي العمل منعزلا في قلب جبال الهقار تمثل في نشاط شارل "ديفوكو" بين سكان التوارق رغم استقراره

بها لمدة تزيد عن عشر سنوات وذلك لاكتساب الجانب اللغوي والمعرفي للمنطقة واعتبارها قاعدة قبل الوصول إلى الغاية المنشودة، إلا أن النهاية المأساوية قضت ريح الثوارات أقصى الجنوب عليه في أيام الحرب العالمية الأولى باعتباره جزءا من البرنامج الاستعماري نفسه.

11-وهكذا كانت الصحراء الكبرى الإفريقية صلة وصل بين مختلف شعوب العالم رغم المسافات الطويلة والشاسعة وقساوة الطبيعة بها(المناخ).

12-إن هذا الموضوع يكتسحه الغموض لمحدودية الوثائق خاصة ما يتعلق منها بالفترة الاستعمارية وقفت حاجزا أمامه وحائلا دون الوصول إلى نتائج أخرى أعمق وأدق، أضف إلى ذلك ضعف المصادر المحلية والتي حالت دون إجراء مقارنة بين الوثائق الأجنبية والمحلية، لذا لم نتمكن من التعمق وإعطاء للموضوع حقه في الفصول الأولى من الموضوع أي الرحلات الأولى ومدى امتدادها الجغرافي، رغم وجود بعض الإشارات البسيطة للدراسة لذلك لا يزال هذا الموضوع قيد الدراسة والبحث والتحليل.

وليس من الغريب كذلك أن تستهوي الصحراء اليوم الأوروبيين، مرة أخرى بثرواتها الطاقوية، كما استهوتهم الأمس بنشاطاتها التجارية الحيوية الهائلة طيلة مدة الاحتلال الفرنسي لها.

الملاحق

قائمة الملاحق:

الملحق رقم 01: وثيقة خطية عن مسار رحلة روني كاييه René Caille

الملحق رقم 02: نص لمعاهدة غدامس 1862.

الملحق رقم 03: وثيقة عن تواريخ احتلال بعض المدن والواحات الصحراوية.

الملحق رقم 04: صورة مانغوبارك Mongo Bark

الملحق رقم 05: صورة روني كاييه Rene Caille

الملحق رقم 06: صورة للرحالة جير هارد رولفس

الملحق رقم 07: صورة المبشرين الثلاثة الذين قتلوا من طرف التوارق (بـــولمي، مينـــوري، بوشارد)

ملحق رقم 08: صورة شارل ديفوكو والطفل مبارك مرابط.

ملحق رقم 09: خريطة متوسط المطر السنوي في الصحراء.

ملحق رقم 10: خريطة لبعثة استطلاعية "مانغوبارك" 1805.

ملحق رقم 11:خريطة مسار دوفيري.

ملحق رقم 12:خريطة رحلة جير هارد رولفس.

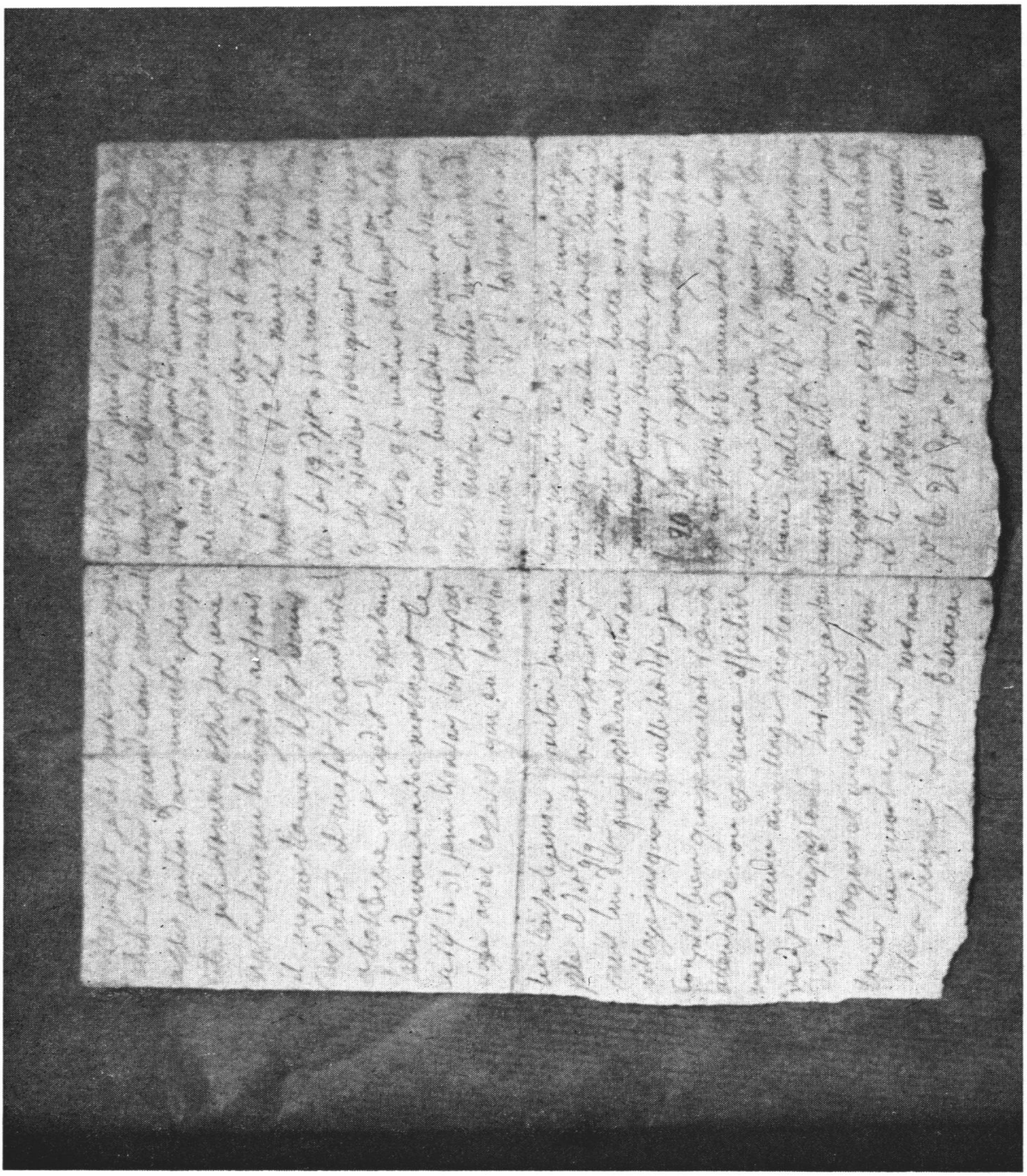

ملحق الوثائق، ملحق رقم 01: وثيقة خطية عن رحلة روني كاييه.[1]

[1]- Ronnee Caille, Op Cit, p 283-

ملحق رقم:02، نص معاهدة غدامس سنة 1162.

• صورة نص معاهدة غدامس باللغة الفرنسية

التي وقعت في 1862/11/26 م

Traite de Ghadamès

Il y aura amitié et change mutuel de bons offices entre les autorités françaises et indigènes de l'Algérie, ou leurs représentants, et les chefs des différentes fractions de la nation Touareg.

Les touaregs pourront venir commercer librement des différentes denrées et produits du soudan et de leurs pays, sur tous les marchés de l'Algérie, sans autre condition que d'acquitter, sur ses marchés, les droits de vente que paient les produits semblables du territoire français.

Les touaregs s'engagent à faciliter et à protéger, à travers leurs pays et jusqu'au soudan, le passage tant à l'aller qu'au retour, des négociants français ou indigènes

Algériens et de leurs marchandises, sous la seule charge, par ces négociants, d'acquitter entre les mains des chefs politiques, les droits dits coutumiers ceux de location des chameaux et autres, conformément tarif ciannixé, et lequel recevra, de part et d'autre, toute la publicité nécessaire pour prévenir les contestations.

Le gouvernement général de l'Algérie s'en remet à la bonne foi et à l'expérience des chefs touaregs, pour la détermination des routes commerciales les plus avantageuses à ouvrir au commerce français vers le soudan; et comme témoignage de son bon vouloir envers la nation touareg, il fera volontiers, lorsque ces routes seront fixées, les frais de leur amélioration matérielle au profit de tous, soit par de travaux d'art, soit par l'établissement de nouveaux puits, ou la remise en bonnes conditions , de ceux au existaient antérieurement .

Après acceptation de la présent convention par l'assemblée de chefs touaregs et signature des contractions, pour garantie solennelle de son exécution dans le présent et avenir, une expédition, écrite en français et en arabe. Restera entre les mains de chacune de parties.

الملحق رقم : 03.

تواريخ احتلال بعض المدن والواحات الصحراوية

المدينة / الواحة	تاريخ احتلالها	ملاحظات
بسكرة		
واحة الزعاطشة	1849	تم تدميرها عند آخرها
بوسعادة	صلح مسلح سنة 1850	تم احتلالها عقب ثورة الزعاطشة إنتقاما من أهلها.
المنيعة	1891	بالإقتحام العسكري
الأبيض سيدي الشيخ، وعين بوزقن	1895	لم تراع خوات الإحتلال حرمة الأماكن المقدسة المتواجدة بها.
تيميمون	12 ماي 1890	
قصور زواوة لدول	12 ماي 1890	
ايغلي	05 أفريل 1900	
تيت	23 مارس 1900	بعد معركة شديدة الباس
أقابلي- تظم مجموعة قرى-	24 مارس 1900	
تمنراست	1904	احتلالها شكل مركز استيطاني
عين صالح	1809	
إليزي	1908	

1 حميدة عميراوي، سياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية ص 130

ملحق رقم: 01. صورة مانغوبارك.[1]

[1] - جوزفين كام، مستكشفون في إفريقيا، مرجع السابق، 106.

ملحق رقم:02، صورة روني كاييه.[1]

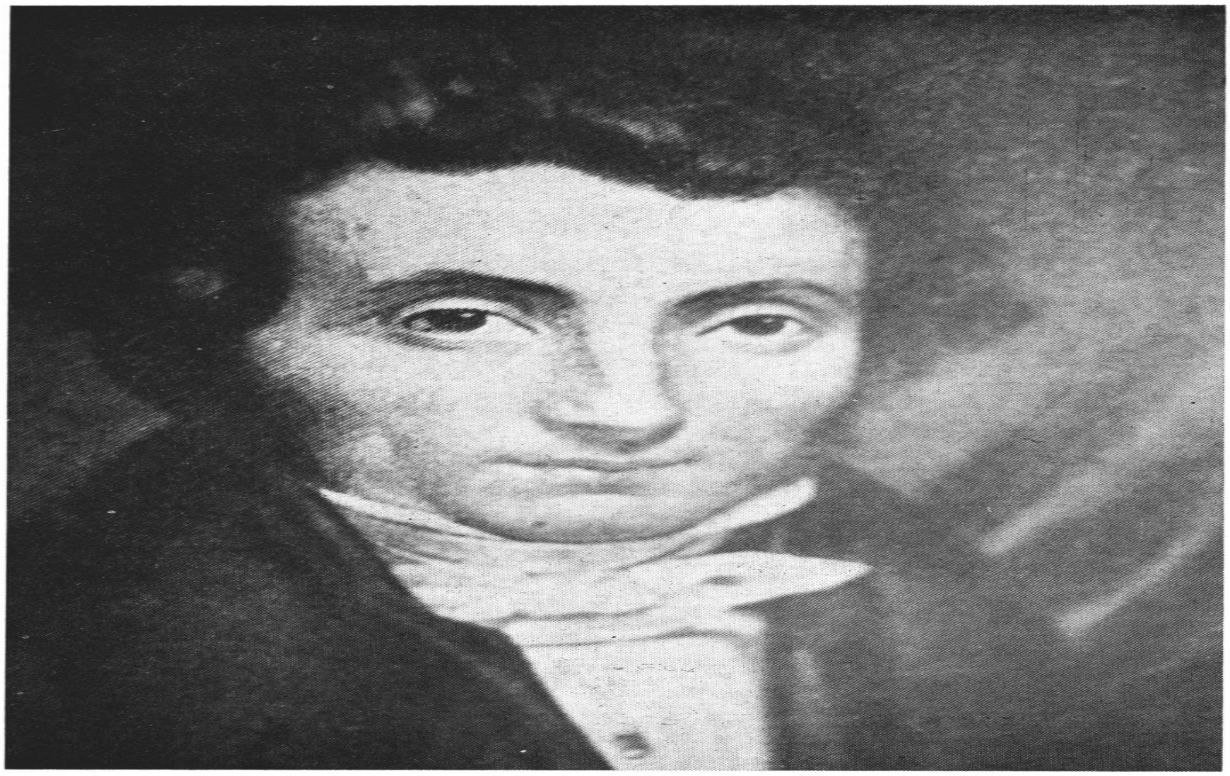

[1]- Ronnee Caille, Op Cit, p 274-276.

ملحق رقم:03، صورة الرحالة جير هارد رولفس.[1]

[1] -مؤنس مفتاح، جيهارد رولفس.....، رمز الدب رحلة الألمان، المرجع السابق، ص11.

ملحق رقم:04، صورة قتل المبشرين الثلاث من طرف التوارق (بولمي، مينوري، بوشارد)[1]

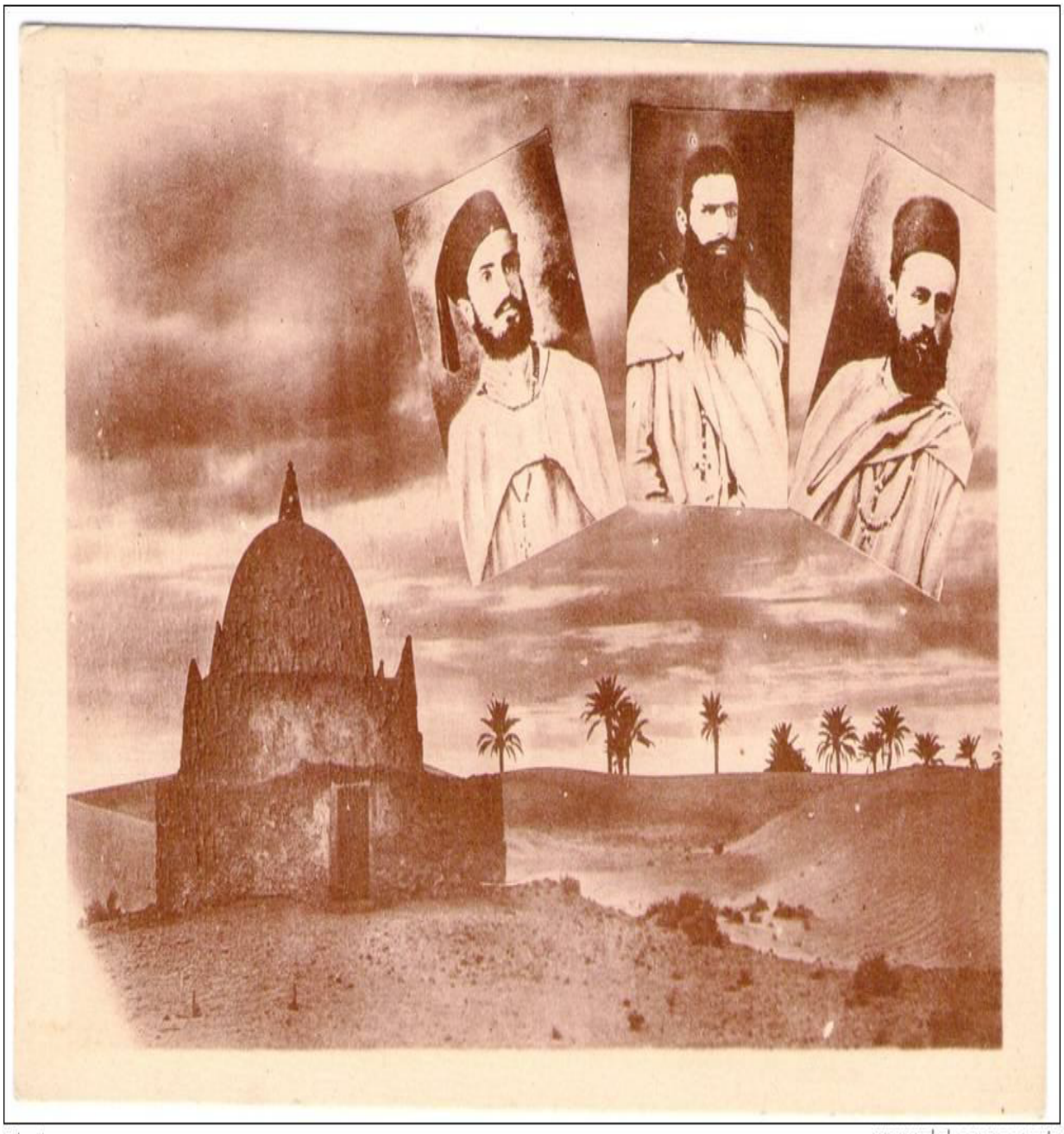

[1] -داوس أحسن ، صورة لمجتمع الصحراوي الجزائري، المرجع السابق، ص132.

ملحق رقم 05، صورة روني كاييه والطفل مبارك مرابط[1].

الراهب الجاسوس «شارل دي فوكو»

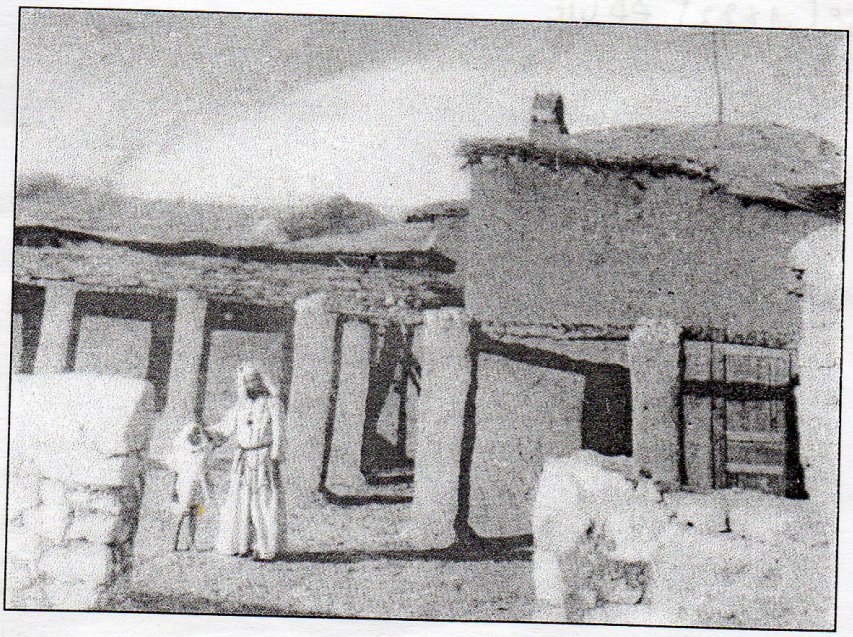

دي فوكو والطفل المختطف مرابط مبارك

[1] -عبد السلام بوشارب، المرجع السابق، ص 123.

ملحق الخرائط، ملحق رقم 01.[1]

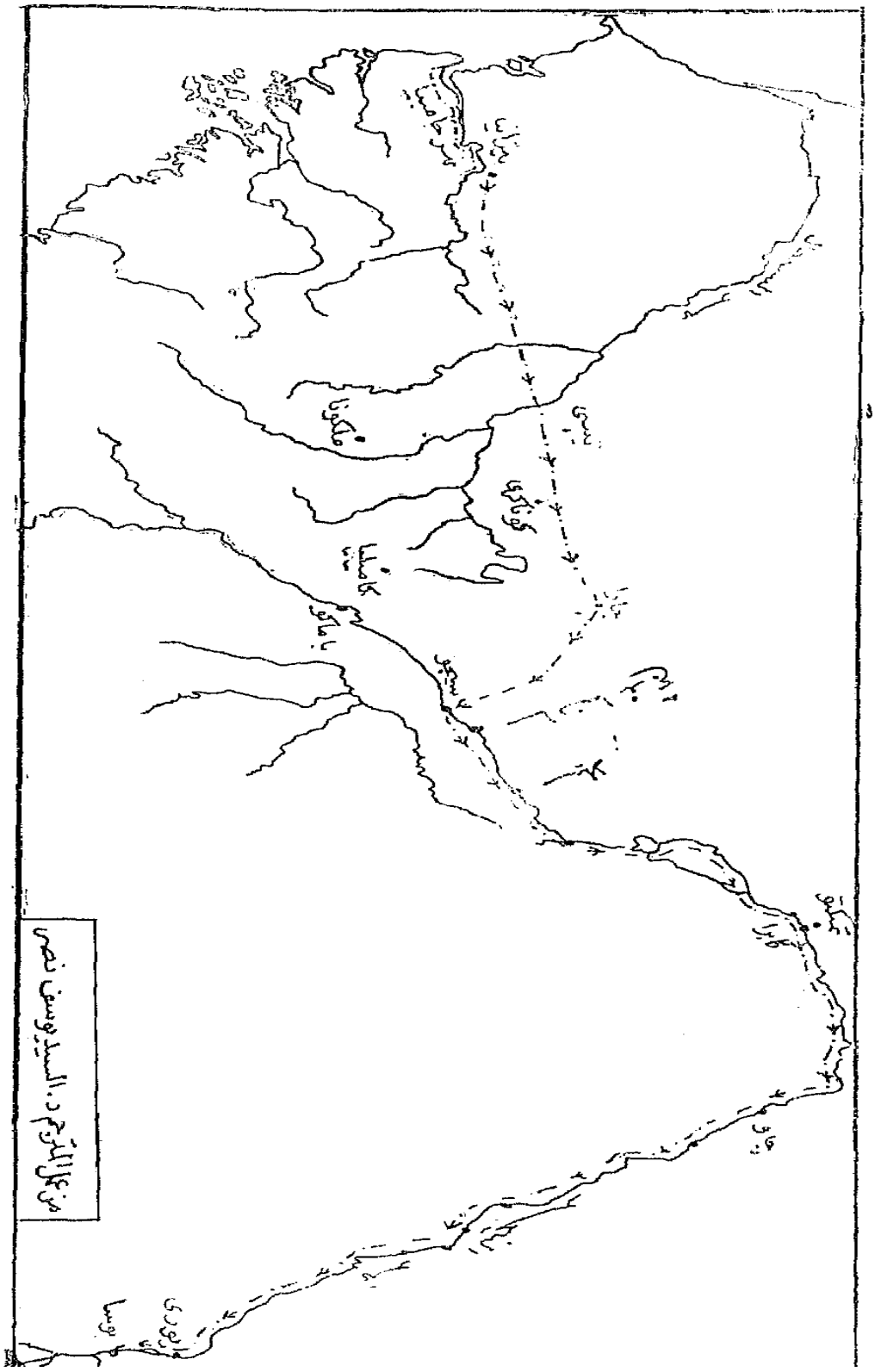

[1] - جوزفين كام، مستكشفون في إفريقيا، مرجع السابق، 108.

ملحق رقم 02، مسار رحلة روني كاييه.[1]

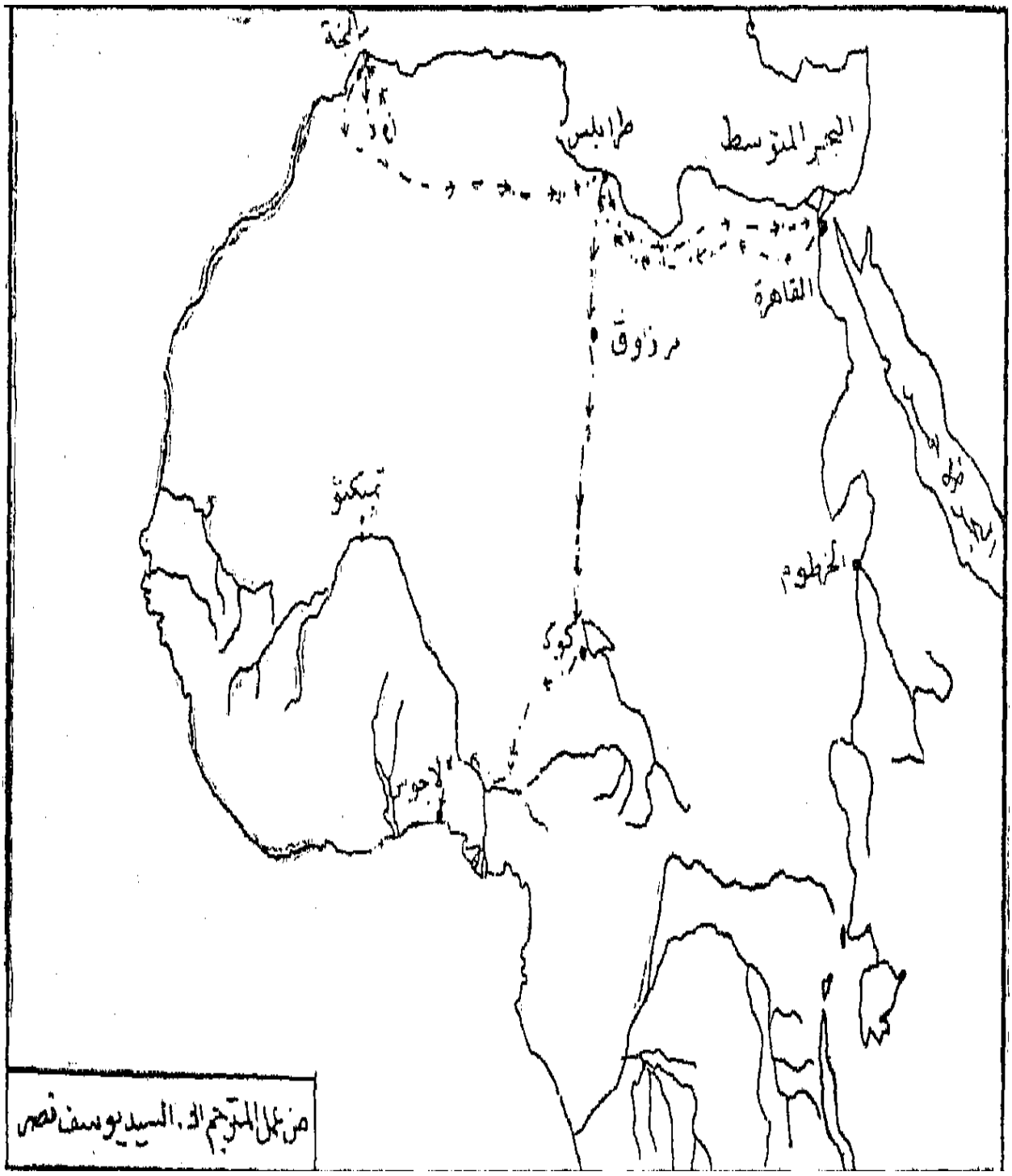

[1] - جوزفين كام، مستكشفون في إفريقيا، مرجع السابق، 191.

ملحق رقم 03، مسار رحلة دوفيري.[1]

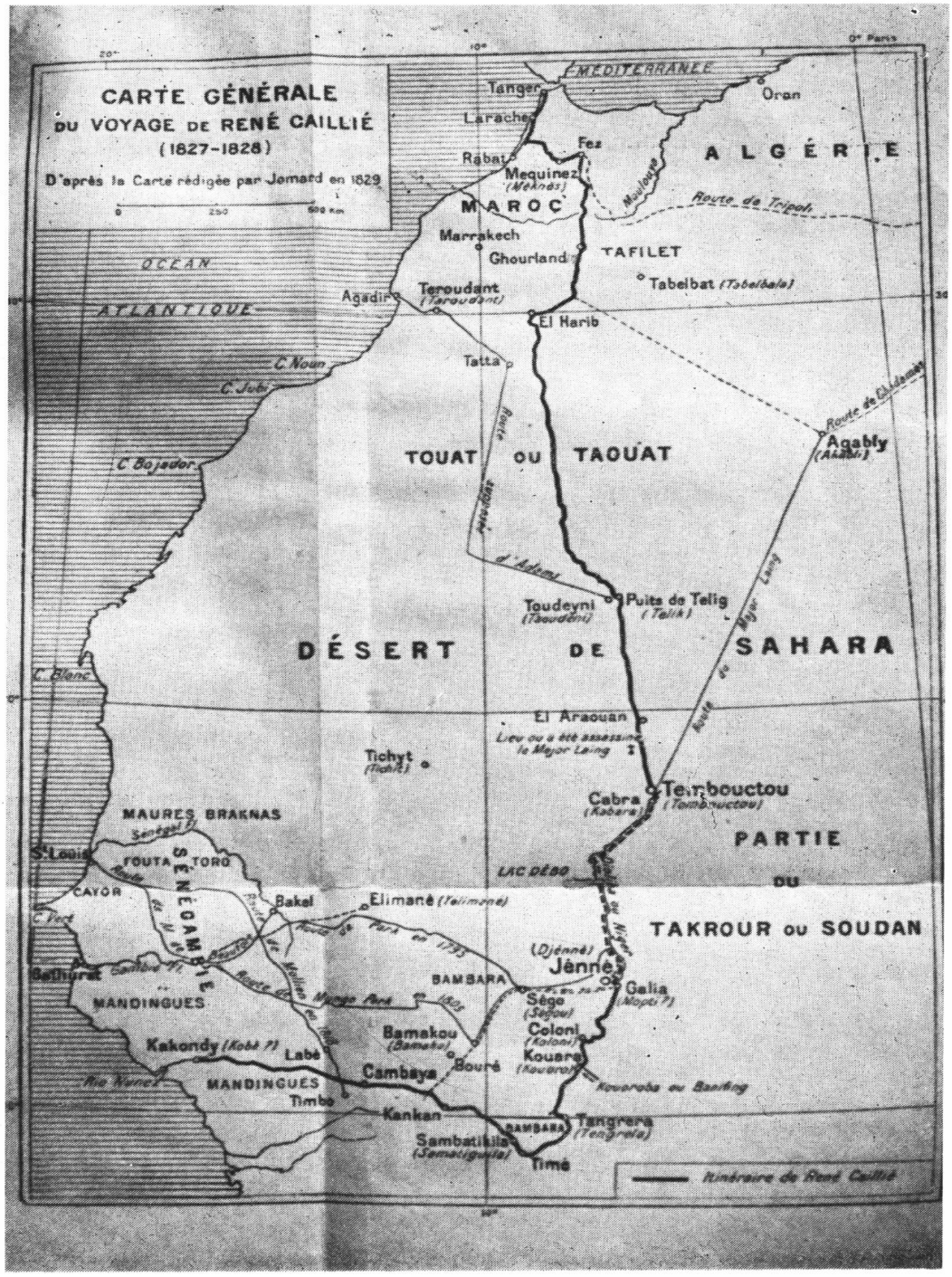

[1]- Ronée Caille, Op Cit, p 279.

ملحق رقم 04، مسار رحلة رولفس.[1]

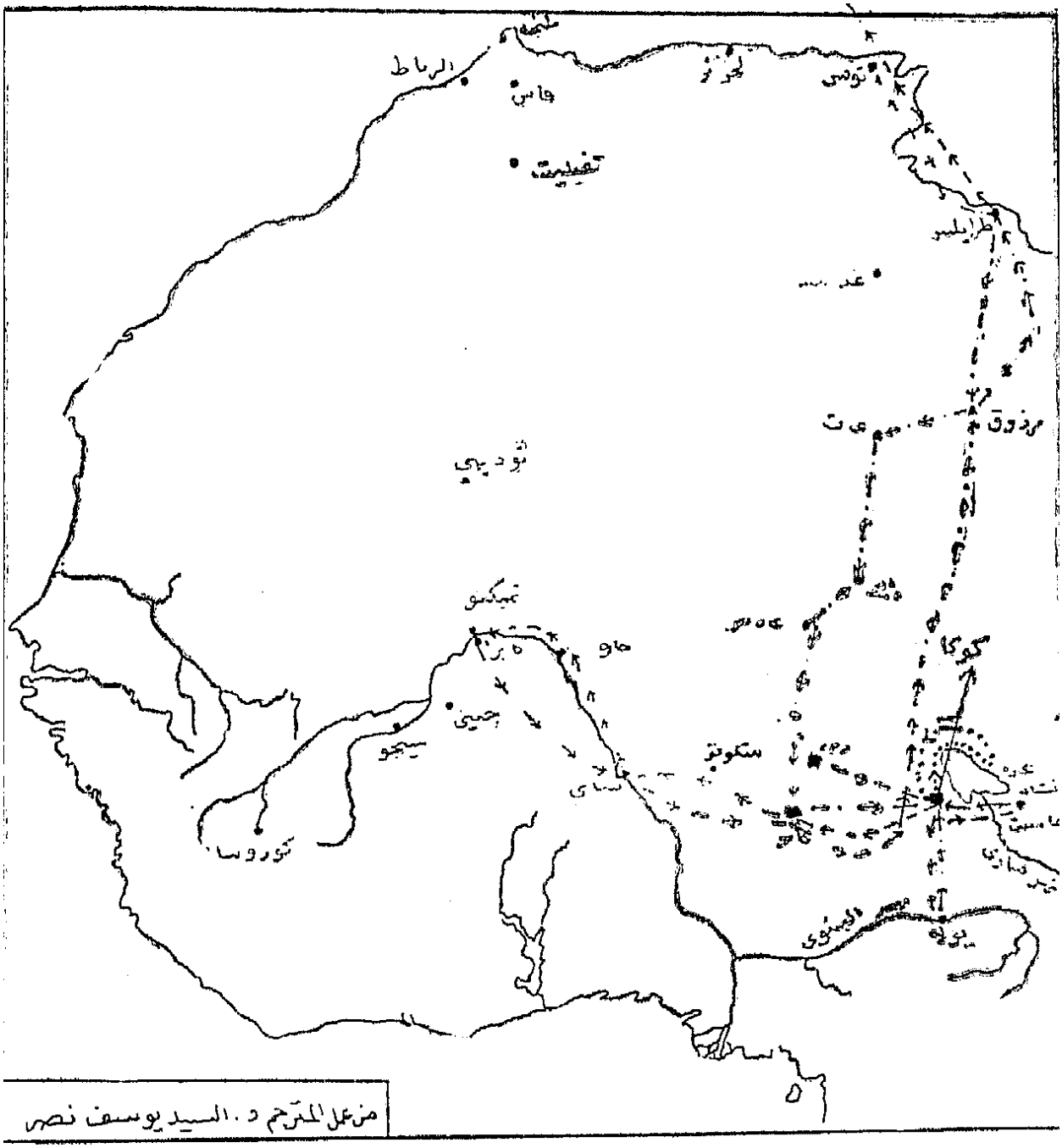

[1] - جوزفين كام، مستكشفون في إفريقيا، مرجع السابق، 190.

ملحق رقم 05، مسار رحلة دوفيري.[1]

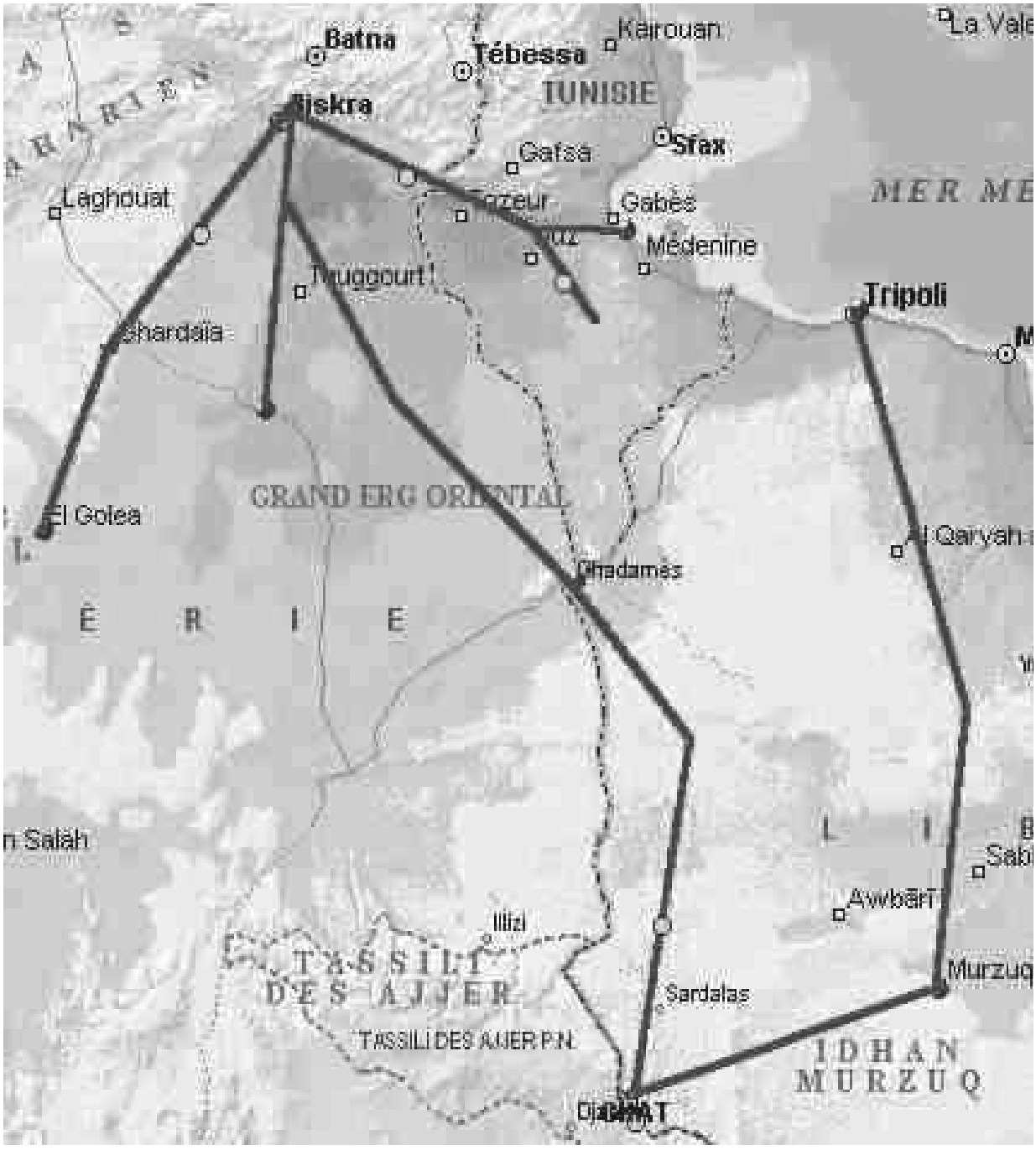

[1] -دواس أحسن، صورة المجتمع الصحراوي، المرجع السابق، ص191.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: قائمة المصادر:

بالفرنسية:

1. **Ben Hawa Amour,** Document Indetits Sur La Deuxieme Mission Flatters Resait D'ameur Ben, Traduit Zt Annote Par A.Cause, Blida, Imp, A.Maugun, 1894.
2. **Baulard Louise:** Un voyage en Afrique on description d'Alger, bibiotheque royale, paris.
3. **Roné caillé**, journal d'une voyage a Tombouctou et a jeuné dans l'Afrique centrale, Edition la Découverte, paris, 2t, 1989.
4. **Clanageran.J.J** Impression de voyage 17 Mars 4 Juin 1873,paris, libraire Germer baillers, 1874.
5. **Foureau . Fernand**, Rapport sur ma misson au sahara et chez les touareg azdjer, octobre, 1894 a Mai 1895, Paris, A.G hallmet, 1895.
6. **Henri Barth**, voyage et découvertes dans l'Afrique Stentrionales et Contrale Pendant Les Années 1849, 1855, paris, 1860.

ثانيا: المـــــراجـــــع:

بالعربية:

7. **أبو القاسم سعد الله** ، الحركة الوطنية الجزائرية، 1830- 1900، ج1، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

8. ـــــــــــــ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982.

9. **أعشي مصطفى** ، نماذج من التواصل الحضاري بين شمال إفريقيا والصحراء الكـــبرى خـــلال عصور ما قبل التاريخ، معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس، الرباط.

10. **العسلي بسام** ، الله أكبر وانطلقت الثورة، دار النفائس، الجزائر، 2010.

11. **الزبيري محمد العربي**، مقاومة لجنوب لاحتلال الفرنسي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيـــع، الجزائر، 1972.

12. **العربي إسماعيل** ، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

13. ـــــــــــ : تاريخ الرحلـــة والاستكـــشاف في الـــبر والبحـــر، المؤســـسة الوطنيـــة للكتاب.الجزائر.1983.

14. **البيشي محمد عبد الحليم** ، تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية، دار زمـــورة، الجزائـــر، 2013.

15. **بوشارب عبد السلام** ، العقار أبجاد وأنحاد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنـــشر، رويبـــة، 1995.

16. **بوعزيز يحي**، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، دار الطباعة، الجزائر، 2000.

17. ـــــــــــ، الاستعمار الأوروبي الحديث في إفريقيا وأسيا وجزر المحيطات، الجـــزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، 1988.

18. ـــــــــــ، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين. منشورات المتحف الـــوطني للمجاهد، الجزائر.

19.**بومهلة تواتي**، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، 1837- 1934، ط1، دار المعرفة، الجزائر، 2012

20.**بلغيث محمد أمين** ، تاريخ الجزائر المعاصر، دار المدني للشروط باعة والتوزيع، 2009.

21.**بشي إبراهيم العيد** ، دور سكاني الجنوب الشرقي الجزائري في مقاومة الاستعمار الفرنسي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع11، جوان 2013.

22.**جوزفين كام**، المستكشفون في إفريقيا، ترجمة وتقديم وتعليق، السيد يوسف نصر محمد علي وقاد، دار المعارف،القاهرة، 1983.

23.**جودت حسين جودت**، دراسات في الجغرافيا الطبيعية للصحاري العربية، بيروت، 1980.

24.**جرجيس القس موسى**، شارل ديفوكو (رسول إخوة شاملة، منشورات المطبعة الكاثوليكية، بيروت،1987.

25.**جاد الرب حسان** ، جغرافية العالم العربي، مكتبة ومطبعة الغرب، القاهرة، 2006.

26.**حليمي عبد القادر**، جغرافيا الجزائر الطبيعية، بشرية، اقتصادية، ط 1، الجزائر، 1968.

27. **زوزو عبد الحميد** ، نصوص ووثائق في تـــاريخ الجزائـــر المعاصـــر، 1830-1900، ، المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007.

28.**زاهر رياض**، " استعمار إفريقيا "، دار القومية لطباعة والنشر، القاهرة.1965.

29.**سعدي عثمان**، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2010.

30.**شوقي جمل**، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ إفريقيـــا الحـــديث والمعاصـــر، ط 2، دار الزهراء، الرياض، 2002.

31.**صالح فركوس**، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصرة، 1830-1925، مديريـــة النشر لجامعة قالمة 2010.

32.**صاري جيلالي** ، دور البيئة في الجزائر، ط1،د ن، الجزائر، 1983.

33.**عميراوي احميدة** ، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، 1844-1916، دار الهدى، الجزائر،2009.

34._____، ، من ملتقيات التاريخية، الطبعة 2، دار الهدى للطباعة والنـــشر والتوزيـــع، الجزائر 2007.

35._____، ، من تاريخ الجزائري الحديث، ط 2، دار الهدى، الجزائر 2009.

36._____، ،من تاريخ الجزائر الحديث، ط 1، دار الهدى،الجزائر، 2009.

37. **قنان جمال**، نصوص سياسة جزائرية في القرن التاسع عـــشر، 1830-1914م ديـــوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.

38._____، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الـــوطني للمجاهد 1994.

39.فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، الملتقى الوطني الأول حول فصل الصحراء عن الجزائر، سلسلة ملتقيات، منشورات، م،و،د،أ،ب، 1996.

40. **مياسي إبراهيم** ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعيـــة، الجزائـــر، 2007.

41._____، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، (1881-1912)

42._____، ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائريـــة، 1837-1934، دار الهومـــة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007.

43._____، مقاربات في تاريخ الجزائر، 1830-1962، دار الهومة،الجزائر، 2009.

44. **نوشي آندري** وآخرون، الجزائريين بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطمبولي رابح، ديـــوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

ثالثا–المراجع بالفرنسية:

45.**André Marie**, Le Pére De Foucould, Missionnaire, toulouse, paris, 1937.

46.**Bauranrd Louise**, Le Cardinal Lavigerie, t 1, libraire ch, poussielges, peris, 1869.

47.**Bazin Renné**, charles de foucauld explroateur du maroc & emirite de saharan augustin & plon le plon –norrit Imp, éd, paris, 1921.

48.**Bernard Augustin** & lcroix, la penétration sharienne 1830K 1906K impk algerienne, alger, 1903.

49.**Brelion**, Le R.P.Alexis Pouplard des Peres Blonc § 1857-1881 imprimbrie mission d'afrique, 1904.

50.**Brune Verbet**, le sahara presse universitaire de France, paris.

51.**Bardon Alfred,** Algérie et Tunisie Récit de voyage et Etudes,Paris, 1883.

52.**Ch. De La Ronciere**; Découverte d'une Relation de Voyage date du Toite et Décrivant en 1447 . Le Basin de Niger, Paris. 1918.

53.**Dexchamps Habret** L'Europe Découvre L'Afrique .Afrique accidentelle (1794-1900) édition berga. Lenault, paris 1967.

54.**F.Foureau,** La Misson Foureau –Lang De Cla Missoner Foureau-Lang Du Reconnaissance Du Capitaine Pein (But.Com.A.F,1899) Paris, 1906.

55.**Flatters,** Les Deux Mission du colon et Flatters en Afrique, récit historique et critique par un membre de la première mission d'après des notes de voyage… le route colonel et le interrogation subis par les suivants de la deuxième mission,[s d], paris, 1884.

56.**Charles Humbert** Jean, charles fort & bordj de léxtreme sud de sahara algerien (1892-1903) edition jacques, canadienne, paris, 1993.

57.**Henri Lhot** ,Le Hoggar espace et temps ,collection cinillisation ,paris,1984 .

58.**Henri, Paul**, Eydoux, l'exploration du sahara, paris, gallimard, 1938.

59.**Lovet Luis** Engéne, Les Mission Catholique au 19 sicIle société de saint auguste paris, [sd].

60.**Marichel Duc Daumas**, Le Sahara Algerienne, Paris,1845.

61.**Pottier Réné**, Le sahara,B.Art hand, France,1950.

62.**paytral J & Paytral Marie**, Element Simplifies De Chronologie Algerienne A **L'ausage** Des Ecoles Et Des Famille, Libraire Classique Adolphe, Alger, 1898.

63.**Rene Pottin**, Fllatarsn Collection, Les Grand Colonaux , paris 1948.

64.**Paul Vuillot**, le xoloration du sahara (étude historique & géographique) Augstin Challamel Editeur, paris, 1895.

65.**Vallat Qustave**, a La Conquete Du Continent Noir (Mission Militaire Et Giviles) De 1892 A 1900 Excluvement S'apres Des Documents Officiels J.Defort, Imp, Dit, Lille, 1901.

رابعا– المجلات والجرائد:

بالعربية:

66.**الخفايا العسكرية**، لتشتبت الفرنسيين بالصحراء "أخطر البترول"، جريدة المجاهد، ع 102.

67.**مونس مفتاح**، جيهارد رولفس رمر أدب الرحلة الألماني، السنة الرابعة والعشرون جريـــدة القدس العربي ، ع 7308 الجمعة 14 كانون الأول، ديسمبر 2012 ، ص 11.

68.**مريوش أحمد** ، التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهقـــار، 1916، مجلة المصادر، العدد 11، الجزائر، 2005.

69.**بن محذن محمد**، الرحلات الاستكشافية الفرنسية في الصحراء الكبرى، (الدوافع العراقيـــل) مجلة العلوم الإنسانية، عدد 20 ديسمبر 2003، ص10.

70.**عبد القادر بوباية**، دور الرحالة المستشرقين في الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، مجلـــة العصور الجديدة، العدد 06، جامعة الجزائر وهران، 2012.

71.**بشي العيد إبراهيم**، دور سكان الجنوب الشرقي الجزائري في مقاومة الاستعمار الفرنـــسي، مجلة العلوم الإنسانية، عدد 11، 2013.

72.**دهاش الصادق**، نتائج الثورة 1871 وأبعادها ومظاهرها، مجلـــة المـــصادر، العـــدد 14، 2006.

73.**مياسي إبراهيم**، من مصادر تاريخ الجزائر المعاصر، تاري صوفياتي كتابات فيرو نموذجا، مجلة المصادر، مجلة المركز الوطني.

74.ـــــــــــــ، الصحراء الجزائرية من خلال الاستكشافات قبل وبعـــد الاحـــتلال، مجلـــة المصادر، العدد 12، الجزائر، 2005.

خامسا:بالفرنسية:

75.**Ami Du Clerage Paroissial**, Supplement A Ami Deu Clerge, N35, Langens, 1931/08/27.

76."**Le Charles De Foucould Ermite Au Sahara**" En L'ami Du Clerage Paroissial, Supplement A Ami Deu Clerge, N;35, Langens, 1931/08/27**.**

سادسا:الرسائل الجامعية:

77.**الحاج أحمد إبراهيم**، المؤسسة التنصيرية في الصحراء الجزائرية في نهاية القرن 19م، مذكرة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة قسنطينة 2، الجزائـــر، 2012-2011.

78.**قرين إيمان**، السياسة الفرنسية في فصل الصحراء الجزائرية 1956-1969 مذكرة ماستر في تاريخ المعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة خيضر بسكرة، الجزائر، 2013-2014.

79.**داوس أحسن** ، صورة لمجتمع الصحراوي الجزائري، مذكرة الماجستير في أدب المقارن، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2007-2008.

سابعا:الموسوعات:

80.**عبد الرحمان بدوي**: موسوعة المستشرقين.المؤسسة العربية للدراسات والنشر.2003م.

81.موسوعة أعلام الجزائر 1830-1954، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحـــث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.

ثامنا: المواقع الالكترونية:

82.**Faiver Naurice**, Biographie de Robert Lacoste, étude coloiles conlbog.com.

2015/04/18 ساا: 15:16.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

إهداء

كلمة شكر

مقدمة ..... أ

مدخل: لمحة تاريخية وجغرافية عن جنوب الصحراء..... 2-12

الفصل الأول: الاهتمامات الفرنسية للصحراء الجزائرية قبل الاحتلال..... 14

المبحث الأول:دوافع البعثات الاستكشافية 14

1-بداية الاهتمام..... 14

2-الدوافع السياسة العسكرية 18

3-الدوافع الاقتصادية..... 22

المبحث الثاني: البعثات الاستطلاعية الأولى 1788-1828 24

1-البعثات الأوروبية (البريطانية قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر)..... 24

2-الرحلات الفرنسية الأولى 29

الفصل الثاني: نشاط الرحالات الاستكشافية وأنماطها 33

المبحث الأول: نشاطات تجارية اقتصادية 33

1-البعثات التجارية الاقتصادية 33

2-البعثات الاقتصادية العلمية 40

3-البعثات السياسة 44

المبحث الثاني: النشاطات الدينية التنصيرية 48

1-سياسة لافيجيري الدينية في الصحراء الجزائرية..... 49

2-نشاط الأب ديفوكو 1858-1916 52

المبحث الثالث: العراقيل التي واجهت البعثات الاستكشافية 58
العوائق الطبيعية 58
العوائق السوسيوثقافية 59
الفصل الثالث: نتائج سياسية التوسع الفرنسي للصحراء 65
المبحث الأول: نتائج السياسة العسكرية 65
1-سياسة التوسع الفرنسي 66
2-توغل نحو الهقار واحتلاله 99
3-الاستعمار يستكمل الاحتلاله للجزائر 73
المبحث الثاني: النتائج الاقتصادية التجارية 76
مشروع السكة الحديدية..... 76
مسالك وطرق القوافل الصحراوية والأسواق..... 81
معاهدة غدامس بين فرنسا والشيخ ايخنوخن 84
المبحث الثالث: النتائج الاجتماعية 86
1-المجتمع الصحراوي..... 86
2-الهجرة 90
خاتمة 93
الملاحق 98
قائمة المصادر والمراجع 112